لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(٢٥٣-٢٥٤-٢٥٥-٢٥٦)

مجموع فيه رسائل لابن شيخ الحزاميين

البُلغة والإقناع في حل شبهة مسألة السماع

ويليه

لوامع الاسترشاد في الفروبين التوحيد والاتحاد

ويليه

لمعة من أشعة النصوص في هتك أستار الفصوص

ويليه

تلقيح الأفهام في تحمل طبقات الأعلام

تأليف
الإمام الزاهد الناسك، والعالم العابد السالك
عماد الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي
المعروف بابن شيخ الحزاميين
(٦٥٧ - ٧١١ هـ)

تحقيق وتعليق
الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأيِّ شكلٍ من الأشكال، أو نسخه، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكِّن من استرجاع الكتاب أو أي جزءٍ منه، دون الحصول على إذن خطي مسبقاً.

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٩٦١١/٧٠٢٨٥٧.. فاكس: ٩٦١١/٧٠٤٩٦٣..
email: info@dar-albashaer.com
website: www. dar-albashaer.com

ISBN 978-614-437-205-0
9 786144 372050

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدِّمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له.

وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾(٣).

---

(١) سُورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(٢) سُورة النِّساء: الآية ١.

(٣) سُورة الأحزاب: الآيتان ٧٠، ٧١.

أما بعد:

فإذا (أراد الله بعبدٍ خيرًا: أقام في قلبه باعثًا يطلب القُرْب منه، وهمَّة تتعلَّق بمحبَّة مُشاهدته ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[١]، فيتجافى عن دار الغُرور، ويميل إلى دار الخُلود، ويستعدُّ للموت قبل نُزوله.

فذلك علامة من ﴿شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[٢].

فمن رزقه الله تعالى هذه الهمَّة النَّفيسة والمطلب العليَّ ـ الذي هُو غاية الغايات، ومُنتهى الطَّلبات ـ: استقامت همَّته، وعلا شأنها)[٣].

وهذه رسائل العَالِم النَّاصح، ودُرر مسائل المُعلِّم الصَّالح: عماد الدِّين أبي العبَّاس أحمد بن إبراهيم الواسطيِّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين؛ رحمه الله تعالى برحمته التي وسعت كُلَّ شيءٍ وكُتبت لعباده المُؤمنين، وأرفقه بالذين أنعم عليهم من النَّبيِّين والصِّديقين والشُّهداء والصَّالحين.

ولمَّا يسَّر الله تعالى لي بمنِّهِ وإفضالِهِ، وسهَّل سُبحانه بكرمِهِ وجُوده ونوالِه: الوُقوفَ على هذه الرَّسائل اللَّطيفة؛ المُشتملة على هذه المسالك المُنيفة، وجدتُّها قد جمعت أُصول الاعتقاد وقواعد التَّعليم، وأركان التَّأديب ومبادئ السُّلوك وأُسس التَّقويم.

فألفيتُها بعد نَضْرَةِ النَّظرِ إليها، وحسبتُها بعد الاطِّلاع عليها: رسائل ماتعة، ومسائل نافعة؛ فعمدت إلى العناية بها تحقيقًا، واجتهدت بالرِّعاية لها تعليقًا؛ ليعظم بها بمشيئة الله تعالى بعد الطَّبع: عظيم الأجر والعائدة والفائدة والنَّفع.

---

(١) سُورة القمر: الآيتان ٥٤، ٥٥.

(٢) سُورة الزُّمر: الآية ٢٢.

(٣) «تلقيح الأسرار بلوامع الأنوار للعُلماء الأبرار» لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص٤٧، ٤٨).

وقد رأيتُ أن أُقدِّم بين يدي هذه الرَّسائل الفريدة: التَّعريف بالمُؤَلِّف والمُؤَلَّف بمُقتضب المقالة المُفيدة.

والله سُبحانه وتعالى؛ المسؤول فضله العظيم، والمأمول نفعه العميم: أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، مُدنيًا لمُؤلِّفه ومُحقِّقه وقارئه من جنَّات النَّعيم، وأن يجعله حُجَّة لهم لا عليهم، وأن ينفع به من انتهى إليهم.

ومن الله الاستمداد، وإليه الملجأ والاستناد، وعليه التَّوكل والاعتماد، فإنَّه لا يخيب من توكَّل عليْه، ولا يضيع من لاذ به وفوَّض أمره إليْه.

إنَّه سُبحانه: خير مسؤولٍ، وأكرم مأمولٍ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

حرره بكلمه، وزبره بقلمه:

أفقر الورى إلى غنى ربِّه العليِّ:

وليد بن محمد بن عبد الله العلي

غفر الله له ولوالديْه ولزوجه ولذريَّته

ولسائر المُسلمين

جامعة الكويت

كُليَّة الشَّريعة والدِّراسات الإسلاميَّة

قسم العقيدة والدَّعوة

يوم الجُمعة ٢٥ ربيع الأول ١٤٣٦هـ

الموافق ١٦ يناير (كانون الثاني) ٢٠١٥م

تَعْرِيفٌ بِالمُؤَلِّفِ(١)

* اسمه ونسبه:

هو الشَّيخ العالم الإمام، الزّاهد العابد الهُمام، العارف النَّاسك،

(١) انظر التَّعريف به في المصادر الآتية ـ مُرتَّبةٌ وفق التَّسلسل الزَّمنيِّ لمُؤلِّفيها ـ: «المُقتفى على كتاب الرَّوضتيْن» للبرزاليِّ (٢/ ٢/ ١٩، ٢٠)، و«العُقود الدُّرِّيَّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة» لابن عبد الهادي (ص٢٩٠)، و«الإعلام بوفيَّات الأعلام» للذَّهبيِّ (ص٢٩٩)، و«تذكرة الحُفَّاظ» له (٤/ ١٤٩٥)، و«ذيل العبر» له (٤/ ٢٩)، و«ذيل تاريخ الإسلام ووفيَّات المشاهير والأعلام» له (ص١٠٩)، و«مُعجم الشُّيوخ» له (١/ ٢٩، ٣٠): ترجمة (٥)، و«المُشتبه في أسماء الرِّجال وأنسابهم» له (ص٢٢٤)، و«أعيان العصر وأعوان النَّصر» للصَّفديِّ (١/ ١٥٣، ١٥٤): ترجمة (٦٦)، و«الوافي بالوفيَّات» له (٦/ ٢٢١): ترجمة (٢٦٨٩)، و«مرآة الجَنان وعبرة اليقظان» لليافعيِّ (٤/ ٢٥٠)، و«الذَّيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب (٢/ ٣٥٩، ٣٦٠)، و«القاموس المُحيط» للفيروزآبادي (ص١٤١٣): مادَّة حزم، و«توضيح المُشتبه» لابن ناصر الدِّين الدِّمشقيِّ (٣/ ١٦٥ ـ ١٦٧)، و«الرَّد الوافر على من زعم بأنَّ من سمَّى ابن تيميَّة شيخ الإسلام كافر» له (ص١٢٩ ـ ١٣١): ترجمة (٣٢)، و«الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثَّامنة» لابن حجر (١/ ٩١): ترجمة (٢٤٠)، و«المنهل الصَّافي والمُستوفى بعد الوافي» لابن تغري بردي (١/ ٢١٠، ٢١١): ترجمة (١٠٧)، و«الدَّليل الشَّافي على المنهل الصَّافي» له (١/ ٣٥): ترجمة (١٠٦)، و«المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد» لابن مُفلح (١/ ٧٣): ترجمة (٥)، و«المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد» للعُليميِّ (٤/ ٣٨٤، ٣٨٥): =

القُدوة السَّالك: عماد الدِّين، أبو العبَّاس، أحمد بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن بن مسعود بن عُمر الحزَّاميُّ، الواسطيُّ، البغداديُّ، ثُمَّ الدِّمشقيُّ، الذي عُرف بأنَّه: ابن شيخ الحزَّاميِّين.

والحزَّاميُّون: نسبة إلى الحزَّامين ـ بفتح الحاء والزَّاي وتشديدها ـ[١]، محلَّةٌ في شرقيِّ واسطٍ[٢]، وهي واسعةٌ كبيرةٌ.

= ترجمة (١١٩٣)، و«الدُّر المُنضَّد في ذكر أصحاب الإمام أحمد» له (٢/ ٤٦١)، و«القلائد الجوهريَّة في تاريخ الصَّالحيَّة» لابن طُولون (٢/ ٤٧٩، ٤٨٠)، و«شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب» لابن العماد (٦/ ٢٤، ٢٥)، و«تاج العروس من جواهر القاموس» للزَّبيديِّ (٣١/ ٤٨٣): مادَّة (حزم)، و«هديَّة العارفين أسماء المُؤلِّفين وآثار المُصنِّفين» للبغداديِّ (١/ ١٠٣، ١٠٤)، و«رفع النِّقاب عن تراجم الأصحاب» لابن ضُويَّان (ص٢٩٣، ٢٩٤)، و«الأعلام» للزِّرِكْلي (١/ ٨٦، ٨٧)، و«مُعجم المُؤلِّفين» لكحَّالة (١/ ٨٩)، و«تسهيل السَّابلة لمُريد معرفة الحنابلة» للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٧ ـ ٩٤٩)، و«عُلماء الحنابلة» لبكر أبو زيد (ص٢٢٦): ترجمة (١٧٨٨)، و«مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للأُستاذ الدُّكتور عبد الله الطُّريقيِّ (٣/ ٣١١ ـ ٣١٥).

(١) انظر في ضبطها: «الأنساب» للسَّمعانيِّ (٢/ ٢١٣)، و«المُشتبه» للذَّهبيِّ (ص٢٢٤)، و«القاموس المُحيط» للفيروزآبادي (ص١٤١٣): مادَّة (حزم).

(٢) واسطٌ: اسمٌ يقع على عدَّة مواضع، وأعظمها وأشهرها: مدينة واسطٍ التي عمَّرها الحجَّاج بن يُوسف الثَّقفيُّ سنة ثلاثٍ وثمانين، وهي المُشار إليها، وسُمِّيت بذلك: لتوسُّطها بين البصرة والكُوفة، كما في: «مُعجم ما استعجم» للبكريِّ (٤/ ١٣٦٣)، و«مُعجم البُلدان» للحمويِّ (٤/ ٣٤٧)، و«الرَّوض المعطار في خبر الأقطار» للحميريِّ (ص٥٩٩).

كما يُطلق الحزَّامون: على الذين يحزمون الكاغد[١] [٢]، أو يحزمون الأمتعة ويشدُّونها[٣]، والله أعلم.

* ولادته ونشأته:

وُلد ابن شيخ الحزَّاميِّين رحمه الله تعالى في حادي عشر ـ أو ثاني عشر ـ شهر ذي الحجَّة الحرام سنة سبعٍ وخمسين وستُّمائةٍ بشرقيِّ واسطٍ.

وكان والده الشَّيخُ أبو إسحاق شيخَ الطَّائفة الأحمديَّة[٤]، وقد نشأ ابن شيخ الحزَّاميِّين بينهم.

وكان رحمه الله تعالى (يرتزق من النَّسخ، وخطُّه حسنٌ جدًّا)[٥]،

---

(١) الكاغد: هُو القرطاس ـ فارسيٌّ مُعرَّبٌ ـ، كما في: «تاج العروس» للزَّبيديِّ (٩/ ١١٠): مادَّة (كغد).

(٢) انظر: «الأنساب» للسَّمعانيِّ (٢/ ٢١٣)، و«اللُّباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير (١/ ٣٦٢)، و«تاج العروس» للزَّبيديِّ (٣١/ ٤٨٥): مادَّة (حزم).

(٣) انظر: «مُعجم البُلدان» للحمويِّ (٢/ ٢٥٢).

(٤) الطَّائفة الأحمديَّة: هي إحدى طوائف الصُّوفيَّة وطُرقها، وتنتسب إلى الشَّيخ أبي العبَّاس أحمد بن عليِّ بن رفاعة الحُسينيِّ؛ المولود في قرية حسن ـ من أعمال واسط ـ بالعراق في أوَّل مُحرَّمٍ سنة خمسمائةٍ، والمُتوفَّى في قرية أمِّ عُبيدة ـ بين واسطٍ والبصرة ـ في يوم الخميس ثاني عشر جُمادى الأُولى سنة ثمانٍ وسبعين وخمسمائةٍ، وتُسمَّى باسم الرِّفاعيَّة؛ وهو الاسم الذي غلب عليها: نسبة إلى أحد أجداد الشَّيخ أحمد، كما تُسمَّى باسم البطائحيَّة: نسبة إلى مسقط رأس الشَّيخ أحمد ببطائح واسط بالعراق، وهذه الطَّريقة لا تخرج في كثيرٍ من طُقوسها الفكريَّة؛ وجُذورها العقديَّة: عن عامَّة الطُّرق الصُّوفيَّة.

(٥) «الدُّرر الكامنة» لابن حجر (١/ ٩١).

(ولا يكاد يقبل من أحدٍ شيئًا إلَّا في النَّادر)[١]، وكان مع ذلك (لا يكتب إلَّا مقدار ما يدفع به الضَّرورة)[٢].

قال الأديب المُؤرِّخ الصَّفديُّ رحمه الله تعالى: «وكتب المنسوب[٣] حتَّى أخمل[٤] الحدائق، وأتى في طرسه[٥] بكُلِّ سطرٍ على العقد فائق»[٦].

* مُعتقده ومسلكه:

قد أُلهم رحمه الله تعالى (من صغره طلب الحقِّ ومحبَّته، والنُّفور عن البدع وأهلها)[٧]، فاجتمع بطوائف عدَّةٍ، (ولم يسكن قلبه إلى شيءٍ)[٨] منها، فاجتمع بفُقهاء واسطٍ، وبغداد، ومكَّة، والقاهرة، ثُمَّ رحل إلى الإسكندريَّة، فاجتمع هُناك بالطَّائفة الشَّاذليَّة[٩]، فوجد عندهم ما يطلبه من لوائح المعرفة والسُّلوك، فأخذ عنهم، واقتفى طريقتهم وهديهم.

---

(١) حكاه الحافظ ابن رجب ـ عن الحافظ الذَّهبيِّ ـ في «الذَّيل» (٢/ ٣٦٠).

(٢) حكاه الحافظ ابن رجب ـ عن الحافظ البرزاليِّ ـ في «الذَّيل» (٢/ ٣٦٠).

(٣) خطٌّ منسوبٌ: ذُو قاعدةٍ، كما في: «تاج العروس» للزَّبيديِّ (٤/ ٢٦٤): مادَّة (نسب).

(٤) قال ابن السِّكِّيت: «قال أبو صاعدٍ: الخميلة: الشَّجر المُجتمع الذي لا ترى فيه الشَّيء إذا وقع في وسطه»، كما في «تهذيب اللُّغة» للأزهريِّ (٧/ ٤٢٩): مادَّة خمل.

(٥) قال اللَّيث: «الطِّرْس: الكتاب الممحو الذي يُستطاع أن تُعاد عليه الكتابة، وفعلك به: التَّطريس»، كما في «تهذيب اللُّغة» للأزهريِّ (١٢/ ٣٢٩): مادَّة طرس.

(٦) «أعيان العصر» للصَّفديِّ (١/ ١٥٣).

(٧) «الذَّيل» لابن رجب (٢/ ٣٦٠).

(٨) «الذَّيل» لابن رجب (٢/ ٣٦٠).

(٩) الطَّائفة الشَّاذليَّة: هي إحدى طوائف الصُّوفيَّة وطُرقها، وتنتسب إلى الشَّيخ أبي الحسن عليِّ بن عبدالله الهُذليِّ الشَّاذليِّ ـ نسبة إلى شاذلة في المغرب ـ؛ =

وكان رحمه الله تعالى في هذه الحِقبة الزَّمنيَّة من عُمره: مُضطربًا ببعض الأُصول ومُتحيِّرًا في شيءٍ من مسائل الاعتقاد، حتَّى أراه الله تعالى الحقَّ ورزقه اتِّباعه وهداه إلى سبيل الرَّشاد، كما أشار رحمه الله تعالى إلى ذلك بقوله: (كُنت بُرهة من الدَّهر مُتحيِّرًا في ثلاث مسائل: مسألة الصِّفات، ومسألة الفوقيَّة، ومسألة الحرف والصَّوت في القُرآن المجيد، وكُنت مُتحيِّرًا في الأقوال المُختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك: من تأويل الصِّفات وتحريفها؟ أو إمرارها؟ أو الوُقوف فيها؟ أو إثباتها بلا تأويلٍ ولا تعطيلٍ، ولا تشبيهٍ ولا تمثيلٍ؟)[١].

إلى أن قال رحمه الله تعالى: (فلم أزل في هذه الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب والأقوال: حتَّى لطف الله بي، وكشف لهذا الضَّعيف عن وجه الحقِّ: كشفًا اطمأنَّ إليه خاطره، وسكن به سِرُّه، وتبرهن الحقُّ في نُوره)[٢].

وكان تخلِّيه رحمه الله تعالى عن هذه المذاهب والأقوال بعد قُدومه دمشق، والتقائه بشيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى وصُحبته له، حيث دلَّه على مُطالعة السِّيرة النَّبويَّة، فأقبل عليها، وعلى مُطالعة كُتب الحديث والسُّنَّة والآثار، حتَّى صار (داعية إلى السُّنَّة ومُتابعة الآثار)[٣]، (مُحبًّا لأهل الحديث، مُعظِّمًا لهم)[٤]، (ومذهبه مذهب السَّلف الصَّالح في الصِّفات، يُمرُّها كما جاءت)[٥].

= المُتوفَّى أوائل شهر ذي القعدة سنة ستٍّ وخمسين وستُّمائةٍ، وهذه الطَّريقة لا تخرج في كثيرٍ من طُقوسها الفكريَّة؛ وجُذورها العقديَّة: عن عامَّة الطُّرق الصُّوفيَّة.

(١) «النَّصيحة» لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص١٦، ١٧).

(٢) «النَّصيحة» لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص٣٢).

(٣) «مُعجم الشُّيوخ» للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).

(٤) حكاه الحافظ ابن رجب ـ عن الحافظ البرزاليِّ ـ في «الذَّيل» (٢/ ٣٦٠).

(٥) حكاه الحافظ ابن رجب ـ عن الحافظ الذَّهبيِّ ـ في «الذَّيل» (٢/ ٣٦٠).

وكان حَسَن العهد بشيخ الإسلام ابن تيميَّة مُثنيًا عليه، ومُضيفًا إليه: كُلَّ صفةٍ حسنةٍ، وكُلَّ منقبةٍ مُستحسنةٍ؛ فمن ذلك قوله: «شيخنا السَّيِّد الإمام، الأُمَّة الهُمام، مُحيي السُّنَّة وقاطع البدعة، ناصر الحديث، ومُفتي الفرق، الفائق عن الحقائق، ومُوصلها بالأُصول الشَّرعيَّة للطَّالب الذَّائق، الجامع بين الظَّاهر والباطن، فهُو يقضي بالحقِّ ظاهرًا وقلبه في العُلى قاطنٌ، أُنموذج الخُلفاء الرَّاشدين، والأئمَّة المهديِّين، الذين غابت عن القُلوب سِيَرُهُم، ونَسِيَت الأُمَّة حذوهم وسُبُلَهُم، فذكَّرهم بها الشَّيخ، فكان في دارس نهجهم سالكًا، ولموات حذوهم مُحييًا، ولأعنَّة قواعدهم مالكًا، الشَّيخ الإمام: تقيُّ الدِّين، أبو العبَّاس: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن تيميَّة، أعاد الله علينا بركته، ورفع إلى مدارج العُلى درجته»[١].

وقد انتفع بهدي ابن شيخ الحزَّاميِّين و(تسلَّك به جماعةٌ، وأَلِف الضَّراعة من الرَّضاعة)[٢]، ثُمَّ شرع في الرَّدِّ على أرباب المذاهب العقليَّة الذَّميمة، واجتهد في التَّحذير من أصحاب الأقوال السَّقيمة، فبيَّن عوارهم، وكشف أستارهم.

قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى: «جالسته مرارًا وانتفعت به، وكان مُنقبضًا عن النَّاس، حافظًا لوقته[٣]، تسلَّك به جماعةٌ، وكان ذا ورعٍ وإخلاصٍ، ومُنابذةٍ للاتِّحاديَّة وذوي العُقول»[٤].

---

(١) «التَّذكرة والاعتبار» لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص١٩، ٢٠).

(٢) «أعيان العصر» للصَّفديِّ (١/ ١٥٤).

(٣) سقطت كلمة (لوقته) من: «الوافي بالوفيَّات»، واستدركتها من «الدُّرر الكامنة».

(٤) حكاه الصَّفديُّ في «الوافي بالوفيَّات» (٦/ ٢٢١).

* مذهبه الفقهيُّ:

أقبل رحمه الله تعالى على التَّفقُّه في الدِّين، وبرز فيه، وصارت (له مُشاركةٌ في العُلوم)[١]، وزاحم في شتَّى (الفضائل، وصحب الكبار)[٢].

وقد (تفقَّه على مذهب الشَّافعيِّ)[٣] رحمه الله تعالى، (ونظر في الرَّوضة والرَّافعيِّ[٤])[٥]، كما أشار إلى ذلك بقوله: (لأنِّي على مذهب الشَّافعيِّ رحمه الله تعالى، عرفت منهم فرائض ديني وأحكامه)[٦].

ثُمَّ تحوَّل و(انتقل إلى مذهب الإمام أحمد)[٧] رحمه الله تعالى[٨]، فقرأ على شيخ المذهب مجد الدِّين إسماعيل بن مُحمَّد الحرَّانيِّ رحمه الله تعالى كتاب «الكافي» للمُوفَّق ابن قدامة رحمه الله تعالى، (واختصره في مُجلَّدٍ)[٩].

---

(١) «ذيل العبر» للذَّهبيِّ (٤/ ٢٩).

(٢) «مُعجم الشُّيوخ» للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).

(٣) «الدُّرر الكامنة» لابن حجر (١/ ٩١).

(٤) أي: تفقَّه في مذهب الشَّافعيِّ على كتاب «الفتح العزيز في شرح الوجيز» للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن مُحمَّد الرَّافعيِّ القزوينيِّ (٥٥٧ ـ ٦٢٣هـ)، وعلى مُختصره «روضة الطَّالبين وعُمدة المُفتين» للإمام أبي زكريَّا يحيى بن شرف النَّوويِّ الدِّمشقيِّ (٦٣١ ـ ٦٧٦هـ).

(٥) «أعيان العصر» للصَّفديِّ (١/ ١٥٤).

(٦) «النَّصيحة» لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص١٨).

(٧) «الذَّيل» لابن رجب (٢/ ٣٥٩).

(٨) انظر: «العُلماء الذين تحوَّلوا من مذهبٍ إلى آخر وأسباب التَّحوُّل» لبكر أبو زيد (ص٤٥)، و«المدخل المُفصَّل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل» له (١/ ٥٦٩).

(٩) «الذَّيل» لابن رجب (٢/ ٣٥٩).

*** ثناء العُلماء عليه:**

كُسي ابن شيخ الحزَّاميِّين بثوب ثناء عُلماء عصره وفُقهاء مصره عليه، فجادت ألسنة صدقهم بالثَّناء والدُّعاء وجاءت مدائحهم تسعى إليه.

فمن ذلك:

١ ـ كان شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ) يُعظِّمه ويُجلِّه، ويقول: «هُو جُنيد[١] وقته. وكتب إليه كتابًا من مصر؛ أوَّله: إلى شيخنا الإمام العارف القُدوة السَّالك»[٢].

٢ ـ قال الحافظ البرزاليُّ رحمه الله تعالى (٦٦٥ ـ ٧٣٩هـ): «رجلٌ صالحٌ عارفٌ، صاحب نُسكٍ وعبادةٍ، وانقطاعٍ وعُزوفٍ عن الدُّنيا، وله كلامٌ متينٌ في التَّصوُّف الصَّحيح، وهُو داعيةٌ إلى طريق الله تعالى»[٣].

٣ ـ قال الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى (٧٠٥ ـ ٧٤٤هـ): «كان رجلاً صالحًا ورعًا، كبير الشَّأن، مُنقطعًا إلى الله، مُتوفِّرًا على العبادة والسُّلوك»[٤].

---

(١) هُو أبو القاسم الجُنيد بن مُحمَّد الخرَّاز القواريريُّ النَّهاونديُّ ثُمَّ البغداديُّ، المُتوفَّى سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين.
قال ابن قيِّم الجوزيَّة في [مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين: (٣/ ٣٢٨)]: «قال سيِّد الطَّائفة وشيخهم الجُنيد بن مُحمَّد رحمه الله: الطُّرق كُلُّها مسدودةٌ على الخلق؛ إلَّا على من اقتفى آثار الرَّسول ﷺ. وقال: من لم يحفظ القُرآن ويكتب الحديث: لا يُقتدى به في هذا الأمر؛ لأنَّ علمنا مُقيَّدٌ بالكتاب والسُّنَّة. وقال: مذهبنا هذا مُقيَّدٌ بأُصول الكتاب والسُّنَّة».

(٢) «الذَّيل» لابن رجب (٢/ ٣٦٠).

(٣) «الذَّيل» لابن رجب (٢/ ٣٦٠).

(٤) «العُقود الدُّرِّيَّة» لابن عبد الهادي (ص٢٩٠).

٤ ـ قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ): «شيخنا القُدوة العارف»[١]. ويقول: «كان من سادة السَّالكين»[٢].

٥ ـ قال الأديب المُؤرِّخ الصَّفديُّ رحمه الله تعالى (٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ): «لقي المشايخ وتعبَّد، وترك الرِّئاسة وتزهَّد، وقطع العوالق وتجرَّد»[٣].

٦ ـ قال الحافظ ابن رجبٍ رحمه الله تعالى (٧٣٦ ـ ٧٩٥هـ): «كان له مُشاركةٌ جيِّدةٌ في العُلوم، وعبارةٌ حسنةٌ قويَّةٌ، وفهمٌ جيِّدٌ، وخطٌّ حسنٌ في غاية الحُسن. وكان معمور الأوقات في الأوراد والعبادات والتَّصنيف والمُطالعة والذِّكر والفكر، مصروف العناية إلى المُراقبة والمحبَّة والأُنس بالله وقطع الشَّواغل والعوائق عنه، حثيث السَّير إلى وادي الفناء بالله والبقاء به، كثير اللَّهج بالأذواق والتَّجلِّيات والأنوار القلبيَّة، منزويًا عن النَّاس لا يجتمع إلَّا بمن يُحبُّه ويحصل له باجتماعه به منفعةٌ دينيَّةٌ»[٤].

٧ ـ قال الحافظ ابن ناصر الدِّين رحمه الله تعالى (٧٧٧ ـ ٨٤٢هـ): «كان زاهدًا عابدًا، داعية إلى الله»[٥].

* مُولَّفاته:

كان رحمه الله تعالى صاحب (عبارةٍ عذبةٍ)[٦]، سَبَك بُحسْن أدبها ما (يُتحلَّى بقلائده، وتتجلَّى محاسنه في فرائده)[٧].

---

(١) «مُعجم الشُّيوخ» للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).
(٢) «ذيل العبر» للذَّهبيِّ (٤/ ٢٩).
(٣) «أعيان العصر» للصَّفديِّ (١/ ١٥٣).
(٤) «الذَّيل» لابن رجب (٢/ ٣٦٠).
(٥) «الرَّدُّ الوافر» لابن ناصر الدِّين (ص١٣٠).
(٦) «ذيل العبر» للذَّهبيِّ (٤/ ٢٩).
(٧) «أعيان العصر» للصَّفديِّ (١/ ١٥٣).

ولمَّا كان (قلمه أبسط من عبارته)[١]؛ اعتنى بالتَّصنيف، حيث (صنَّف في السُّلوك والمحبَّة)[٢] مُصنَّفاتٍ و(تواليف نافعة)[٣]، وغالب هذه المُصنَّفات في الحثِّ على (اقتفاء السُّنَّة، وطريق التَّصوُّف على السُّنَّة، والرَّدِّ على طوائف من المُبتدعة كالاتِّحاديَّة وغيرهم)[٤]، وكلامه (في التَّصوُّف عجيبٌ)[٥].

قال الحافظ ابن رجبٍ رحمه الله تعالى: «ألَّف تآليف كثيرة في الطَّريقة النَّبويَّة؛ والسُّلوك الأثريِّ، والفقر المُحمَّديِّ، وهي من أنفع كُتب الصُّوفيَّة للمُريدين، انتفع بها خلقٌ من مُتصوِّفة أهل الحديث ومُتعبِّديها»[٦].

ومن هذه المُؤلَّفات:

١ ـ **البُلغة**: اختصر فيه كتاب «الكافي» لابن قُدامة المقدسيِّ رحمه الله تعالى، وقد ذكره: ابن رجبٍ، وابن ناصر الدِّين، والعُليميُّ، وابن طُولون، وحاجي خليفة، والبغداديُّ، وابن العماد، وابن ضُويَّان، وكحَّالة، والبُرَديُّ، وأبو زيدٍ، والطُّريقيُّ[٧].

---

(١) حكاه الحافظ ابن رجب ـ عن الحافظ البرزاليِّ ـ في «الذَّيل» (٢/ ٣٦٠).

(٢) «الوافي بالوفيَّات» للصَّفديِّ (٦/ ٢٢١).

(٣) «مُعجم الشُّيوخ» للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).

(٤) «الرَّدُّ الوافر» لابن ناصر الدِّين (ص١٢٩).

(٥) «توضيح المُشتبه» لابن ناصر الدِّين (٣/ ١٦٦).

(٦) «الذَّيل» لابن رجب (٢/ ٣٥٩).

(٧) انظر: «الذَّيل» لابن رجب (٢/ ٣٥٩)، و«الرَّد الوافر» لابن ناصر الدِّين (ص١٢٩)، و«المنهج الأحمد» للعُليميِّ (٤/ ٣٨٤)، و«الدُّر المُنضَّد» له (١/ ٤٦١)، و«القلائد الجوهريَّة» لابن طُولون (٢/ ٤٧٩)، و«شذرات الذَّهب» لابن العماد (٦/ ٢٤)، و«كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (١/ ٢٥٢؛ ٢/ ١٠٠١)، =

٢ ـ البُلغة والإقناع؛ في حلِّ شُبهة مسألة السَّماع: (ألَّفه بدمشق سنة ثلاثٍ وسبعمائة)[١]، وقد ذكره: البغداديُّ، وكحَّالة، والبُرَديُّ، وأبو زيدٍ، والطُّريقيُّ[٢]، وسيأتي الحديث عنه.

٣ ـ التَّذكرة والاعتبار؛ والانتصار للأبرار: رسالةٌ كتبها وبعثها إلى أصحاب شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى، (وأوصاهم فيها بمُلازمة الشَّيخ، والحثِّ على اتِّباع طريقته، وأثنى فيها على الشَّيخ ثناءً عظيمًا)[٣]، وقد ذكره: ابن ناصر الدِّين، والطُّريقيُّ[٤]، وهُو مطبوعٌ[٥].

٤ ـ تلقيح الأسرار؛ بلوامع الأنوار؛ للعُلماء الأبرار، وهُو مطبوعٌ[٦].

٥ ـ حياة القُلُوب وعمارة الأنفاس؛ في سُلُوك الأذكياء الأكياس، وهُو مطبوعٌ[٧].

= و«هديَّة العارفين» للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، و«رفع النِّقاب» لابن ضُويَّان (ص٢٩٤)، و«مُعجم المُؤلِّفين» لكحَّالة (١/ ٨٩)، و«تسهيل السَّابلة» للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، و«المدخل المُفصَّل» لبكر أبو زيدٍ (٢/ ٧٣٩، ٩٨٦)، و«مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٢).

(١) «كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (١/ ٢٥٢؛ ٢/ ١٠٠١).

(٢) انظر: «هديَّة العارفين» للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، و«مُعجم المُؤلِّفين» لكحَّالة (١/ ٨٩)، و«تسهيل السَّابلة» للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، و«المدخل المُفصَّل» لبكر أبو زيد (٢/ ٨٨٥، ٩٨٦، ١٠٥٢)، و«مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٣).

(٣) «العُقود الدُّرِّيَّة» لابن عبد الهادي (ص٢٩٠).

(٤) انظر: «الرَّد الوافر» لابن ناصر الدِّين (ص١٣٠، ١٣١)، و«مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(٥) اعتنت بطباعته دار العاصمة؛ بتحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن عبد الجبَّار الفريوائيُّ.

(٦) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

(٧) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

٦ ـ السِّرُّ المصون؛ والعلم المخزون؛ فيه لوائح من المحبَّة وَشُؤون، وهُو مطبوعٌ[١].

٧ ـ السُّلوك والسَّير إلى الله تعالى، وقد ذكره: الطُّريقيُّ[٢]، وهُو مخطوطٌ[٣].

٨ ـ شرح منازل السَّائرين: شرح فيه (أكثر منازل السَّائرين)[٤] لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن مُحمَّد الأنصاريِّ الهرويِّ رحمه الله تعالى؛ (ولم يُتمَّه)[٥]، وقد ذكره: الذَّهبيُّ، وابن قيِّم الجوزيَّة[٦]، والصَّفديُّ، وابن رجبٍ، وابن ناصر الدِّين، وابن حجرٍ، وابن تغري بردي، والعُليميُّ، وحاجي خليفة، والبغداديُّ، وابن ضُويَّان، والزِّرِكْليُّ، وكحَّالة، والبُرَديُّ، والطُّريقيُّ[٧].

---

(١) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

(٢) انظر: «مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٤).

(٣) تُوجد منه نُسخةٌ خطِّيَّةٌ مُودعةٌ في دار الكُتب الظَّاهريَّة بدمشق، تحت رقم التَّصنيف (٤٧٠٩)، وتقع في (١٤٧) ورقة، وهي مخرومة الأوَّل والآخر، كما في: «فهرس مخطوطات دار الكُتب الظَّاهريَّة» (قسم التَّصوُّف) (٢/ ٦٠، ٦١).

(٤) «الوافي بالوفيَّات» للصَّفديِّ (٦/ ٢٢١).

(٥) «الذَّيل» لابن رجب (٢/ ٣٦٠).

(٦) انفرد تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة رحمه الله تعالى عمَّن سواه من المُترجمين بخصِّيصةٍ، حيث ضمَّن مواطن من هذا الشَّرح في «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل» (١/ ٨٩ ـ ٩١) فقال: «والذي يليق به [أي: يليق بكلام صاحب المنازل]: ما ذكره شيخنا أبو العبَّاس أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ رحمه الله في شرحه، فذكر قاعدة في الفناء والاصطلام، فقال» ثُمَّ ساق قوله في ثلاث صفحاتٍ.

(٧) انظر: «ذيل تاريخ الإسلام» للذَّهبيِّ (ص١٠٩)، و«شفاء العليل» لابن قيِّم الجوزيَّة (١/ ٨٩ ـ ٩١)، و«الوافي بالوفيَّات» للصَّفديِّ (٦/ ٢٢١)، و«الذَّيل» لابن رجب =

٩ ـ عُمدة الطُّلاب؛ من مُؤمني أهل الكتاب؛ المُشتاقين إلى ذوق الأحباب؛ الرَّاغبين في رُسُوخ دين الإسلام في السَّرائر والألباب، وهُو مطبوعٌ[١].

١٠ ـ مُختصر دلائل النُّبوَّة، وقد ذكره: الذَّهبيُّ، والصَّفديُّ، وابن حجرٍ، وابن تغري بردي، والزِّرِكْليُّ، والطُّريقيُّ[٢].

١١ ـ مُختصر سيرة ابن إسحاق: حيث (أقبل على سيرة ابن إسحاق ـ تهذيب ابن هشامٍ ـ؛ فلخَّصها واختصرها)[٣]، وقد ذكره: الذَّهبيُّ، والصَّفديُّ، وابن ناصر الدِّين، وابن تغري بردي، وابن مُفلحٍ، والعُليميُّ، وابن طُولون، وابن العماد، وابن ضُويَّان، وسزكين، والبُرَديُّ، والطُّريقيُّ[٤].

= (٢/ ٣٦٠)، و«توضيح المُشتبه» لابن ناصر الدِّين (٣/ ١٦٥، ١٦٦)، و«الدُّرر الكامنة» لابن حجر (١/ ٩١)، و«المنهل الصَّافي» لابن تغري بردي (١/ ٢١١)، و«المنهج الأحمد» للعُليميِّ (٤/ ٣٨٤)، و«الدُّر المُنضَّد» له (١/ ٤٦١)، و«كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (٢/ ١٨٢٨)، و«هديَّة العارفين» للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، و«رفع النِّقاب» لابن ضُويَّان (ص٢٩٤)، و«الأعلام» للزِّرِكليِّ (١/ ٨٧)، و«مُعجم المُؤلِّفين» لكحَّالة (١/ ٨٩)، و«تسهيل السَّابلة» للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، و«مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(١) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

(٢) انظر: «ذيل تاريخ الإسلام» للذَّهبيِّ (ص١٠٩)، و«أعيان العصر» للصَّفديِّ (١/ ١٥٣)، و«الوافي بالوفيَّات» له (٦/ ٢٢١)، و«الدُّرر الكامنة» لابن حجر (١/ ٩١)، و«المنهل الصَّافي» لابن تغري بردي (١/ ٢١١)، و«الأعلام» للزِّرِكْلي (١/ ٨٧)، و«مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(٣) «الذَّيل» لابن رجب (٢/ ٣٥٩).

(٤) انظر: «ذيل تاريخ الإسلام» للذَّهبيِّ (ص١٠٩)، و«أعيان العصر» للصَّفديِّ =

١٢ ـ مدخل أهل الفقه واللِّسان؛ إلى ميدان المحبَّة والعرفان، وقد ذكره: حاجي خليفة، والبغداديُّ، وكحَّالة، والبُرَديُّ، والطُّريقيُّ[١]، وهُو مطبوعٌ[٢].

١٣ ـ مفتاح الطَّريق؛ إلى سُلوك التَّحقيق، وهُو مطبوعٌ[٣].

١٤ ـ مفتاح المعرفة والعبادة؛ لأهل الطَّلب والإرادة؛ الرَّاغبين في الدُّخول إلى دار السَّعادة؛ من الطَّريقة المُحمَّديَّة التي ليست بمُنحرفةٍ عن الجادَّة، وهُو مطبوعٌ[٤].

١٥ ـ مفتاح طريق الأولياء، وأهل الزُّهد من العُلماء، وقد ذكره:

= (١/ ١٥٣، ١٥٤)، و«الوافي بالوفيَّات» له (٦/ ٢٢١)، و«توضيح المُشتبه» لابن ناصر الدِّين (٣/ ١٦٥)، و«الرَّد الوافر» له (ص١٢٩)، و«المنهل الصَّافي» لابن تغري بردي (١/ ٢١١)، و«المقصد الأرشد» لابن مُفلح (١/ ٧٣)، و«المنهج الأحمد» للعُليميِّ (٤/ ٣٨٤)، و«الدُّر المُنضَّد» له (١/ ٤٦١)، و«القلائد الجوهريَّة» لابن طُولون (٢/ ٤٧٩)، و«شذرات الذَّهب» لابن العماد (٦/ ٢٤)، و«رفع النِّقاب» لابن ضُويَّان (ص٢٩٣)، و«تاريخ التُّراث العربيِّ» لسزكين (١/ ١/ ١١٠)، و«تسهيل السَّابلة» للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، و«مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(١) انظر: «كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (٢/ ١٦٤٣)، و«هديَّة العارفين» للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، و«إيضاح المكنون» له (٢/ ٤٥٤، ٤٥٥)، و«مُعجم المُؤلِّفين» لكحَّالة (١/ ٨٩)، و«تسهيل السَّابلة» للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، و«مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٤).

(٢) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

(٣) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

(٤) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

الزِّرِكْليُّ[١]، وهُو مطبوعٌ[٢].

١٦ ـ مفتاح طريق المُحبِّين، وباب الأُنس بربِّ العالمين؛ المُؤدِّي إلى أحوال المُقرَّبين، وقد ذكره: البغداديُّ، وكحَّالة، والبُرَديُّ، والطُّريقيُّ[٣]، وهُو مطبوعٌ[٤].

١٧ ـ ميزان الحقِّ والضَّلال؛ في تفصيل أحوال النُّجباء والأبدال، وشرح كبر الجهلة من العمَّال؛ الذين عدموا علم التَّفصيل والإجمال، وهُو مطبوعٌ[٥].

١٨ ـ مِيْزَانُ الشُّيُوخِ، وهُو مطبوعٌ[٦].

١٩ ـ نصيحةٌ في صفات الرَّبِّ جلَّ وعلا، وهُو مطبوعٌ[٧].

٢٠ ـ نصيحةٌ لبعض إخوانه، وقد ذكره: الطُّريقيُّ[٨]، وهُو مخطوطٌ[٩].

---

(١) انظر: «الأعلام» للزِّركليِّ (١/ ٨٧).

(٢) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيق: مُحمَّد بن ناصر العجميِّ.

(٣) انظر: «هديَّة العارفين» للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، و«إيضاح المكنون» له (٢/ ٥٢٥)، و«مُعجم المُؤلِّفين» لكحَّالة (١/ ٨٩)، و«تسهيل السَّابلة» للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، و«مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(٤) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

(٥) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

(٦) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

(٧) اعتنى بطباعته المكتب الإسلاميُّ؛ بتحقيق: زُهير الشَّاويش.

(٨) انظر: «مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(٩) تُوجد منه نُسخةٌ خطِّيَّةٌ مُودعةٌ في دار الكُتب الظَّاهريَّة بدمشق، تحت رقم التَّصنيف (١٥٣٢)، وتقع في (١٢٧) ورقة، كما في: «فهرس مخطوطات دار الكُتب الظَّاهريَّة» (قسم التَّصوُّف) (٣/ ٥٦، ٥٧).

*** نظمه:**

كان رحمه الله تعالى ـ إلى جانب ما جمع الله تعالى له من الذِّكر الرَّفيع ـ قد اشتهر عنه بأنَّه صاحب (نظمٍ حسنٍ)[١] وشعرٍ رائقٍ وقرضٍ بديعٍ.

قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى: «أنشدنا لنفسه رحمه الله تعالى:

مَا زَالَ يَعْشَقُهَا طَوْرًا ويُلْهِيهَا ... حَتَّى أَنَاخَ بِرَبْعِ الحُبِّ حَادِيهَا
يَشْكُو إِلَيْهِ كَلالَ السَّيْرِ مِنْ نَصَبٍ ... وَعْدَ الوِصَالِ يُمَنِّيهَا فَيُحْيِيهَا
هَبَّ النَّسِيمُ فَأَهْدَى طِيبَ نَشْرِهِمُ ... فَهَيَّجَ الوَجْدَ مِنْ أَقْصَى دَوَاعِيهَا
إِنْ رُمْتَ سَيْرًا فَصَفِّ القَلْبَ مِنْ دَنَسٍ ... مَعَ الجَوَارِحِ كَيْ تَنْفِي مَسَاوِيهَا
وَجَانِبِ النَّهْيَ حَسْبَ الجَهْدِ مُمْتَثِلاً ... نُجْحَ الأَوَامِرِ كَيْ يَنْفَكَّ عَانِيهَا
واقْصِدْ إِلَى السُّنَّةِ الغَرَّاءِ تَفْهَمُهَا ... فَهْمَ الخُصُوصِ فَتَعْلُو فِي مَبَانِيهَا
وَدَاوِمِ الذِّكْرَ بَعْدَ العَقْدِ مِنْ سُنَنٍ ... عَقَدَ ابْنِ حَنْبَلٍ لِلأَمْرَاضِ يَشْفِيهَا
لا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ ... وَلا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا»[٢].

وقال الحافظ ابن ناصر الدِّين رحمه الله تعالى: «ومن إنشادات الحزَّاميِّ هذا في مراتب المحبَّة:

مَنْ كَانَ فِي ظُلَمِ الدَّياجِي سَارِيًا ... رَصَدَ النُّجُومَ وَأَوْقَدَ المِصْبَاحَا
حَتَّى إِذَا مَا البَدْرُ أَرْشَدَ ضَوْؤُهُ ... تَرَكَ النُّجُومَ وَرَاقَبَ الإِصْبَاحَا
حَتَّى إِذَا انْجَابَ الظَّلامُ بِأَسْرِهِ ... وَرَأَى الصَّبَاحَ بِأُفْقِهِ قَدْ لاحَا
تَرَكَ المَسَارِجَ وَالكَوَاكِبَ كُلَّهَا ... وَالبَدْرَ وَارْتَقَبَ السَّنَا الوَضَّاحَا»[٣].

---

(١) «الذَّيل» لابن رجب (٢/ ٣٦٠).

(٢) «مُعجم الشُّيوخ» للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).

(٣) «توضيح المُشتبه» لابن ناصر الدِّين (٣/ ١٦٦، ١٦٧)، وقد ذكرها ابن قيِّم الجوزيَّة في «كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء»: (ص٧٨) دون نسبتها لقائلها، وفيه ذكر (اللَّيالي)؛ بدل: (الدَّياجِي).

*** وفاته:**

كان رحمه الله تعالى قد أدركته المنيَّة عن (أربعٍ وخمسين سنة)[١]، (وعينه من الانقطاع عن الدُّنيا وَسِنَة، ولم يزل على حاله إلى أن التقمته الأرض، وأودعته في بطنها إلى يوم العرض)[٢].

وكانت وفاته بعد عصر السَّبت سادس عشر ربيع الآخر سنة إحدى عشر وسبعمائة بالمارستان[٣] الصَّغير بدمشق، عن ثلاثةٍ وخمسين عامًا، وأربعة أشهرٍ، وأربعة أو خمسة أيَّامٍ[٤].

وصُلِّي عليه بالجامع الأُمويِّ (ضُحى يوم الأحد، ودُفن بسفح قاسيون؛ قبالة زاوية السُّيوفيِّ، وتقدَّم في الصَّلاة عليه: أبو الوليد المالكيُّ)[٥] رحمه الله تعالى.

قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى: «ولا أعلم خلَّف بدمشق في طريقته مثله»[٦].

رحمه الله تعالى برحمته التي وسعت العالمين، وأعلى سُبحانه درجته ورفع منزلته في المهديِّين، وأخلفه بُحسن كرمه في عقبه في الغابرين.



---

(١) «مرآة الجَنان وعبرة اليقظان» لليافعيِّ (٤/ ٢٥٠).

(٢) «أعيان العصر» للصَّفديِّ (١/ ١٥٤).

(٣) دار المرضى ـ وهُو مُعرَّبٌ ـ، وأصله: بيمارستان، وبيمار: المريض، وأستان: المأوى، كما في: «تاج العروس» للزَّبيديِّ (١٦/ ٥٠٠): مادَّة (مرس).

(٤) هذا عُمره تحديدًا، وما ذُكر أعلاه تغليبًا، وقد وَهَمَ الصَّفديُّ بقوله: «عاش بضعًا وسبعين سنة»، كما في: «أعيان العصر» (١/ ١٥٤)، و«الوافي بالوفيَّات» (٦/ ٢٢١).

(٥) «المُقتفى» للبرزاليِّ (٢/ ٢/ ١٩).

(٦) «الذَّيل» لابن رجب (٢/ ٣٦٠).

تَعرِيفٌ بِالمُؤَلَّفِ

رسائل المُؤلَّف

قد اشتمل هذا المُؤلَّف اللَّطيف؛ بين دفَّتيْه على أربعة تصانيف:

أوَّلها: البُلْغَةُ والإقْنَاعُ فِي حَلِّ شُبْهَةِ مَسْأَلَةِ السَّمَاعِ.

وثانيها: لَوَامِعُ الاسْتِرْشَادِ فِي الفَرْقِ بَيْنَ التَّوْحِيدِ والاتِّحَادِ.

وثالثها: كِتَابٌ فِيهِ لُمْعَةٌ مِنْ أَشِعَّةِ النُّصُوصِ فِي هَتْكِ أَسْتَارِ الفُصُوصِ.

ورابعها: تَلْقِيحُ الأَفْهَامِ فِي مُجْمَلِ طَبَقَاتِ الإسْلامِ.

نسبة المُؤلَّف للمُؤلِّف

هذه الرَّسائل الأربع قد ثبتت نسبتها لمُؤلِّفها رحمه الله تعالى وصحَّت من دلالة العبارة العذبة والأُسلوب الحسن؛ إذ قد كُسيت كلمات الرَّسائل بعبارةٍ وأُسلوبٍ يظهر فيها التَّشابه الكبير والتَّقارب الواضح بينها وبين غيرها من رسائل المُؤلِّف المطبوعة، وهذا الوجه من الأوجه المُعتبرة في إثبات نسبة رسالةٍ ما لمُؤلِّفها؛ إذ أنَّ عبارات المُؤلِّفين في رسائلهم، وأساليبهم في كُتبهم: تتشابه إلى حدٍّ كبيرٍ، كما أنَّها تُلقي في الرُّوع غلبة الظَّنِّ، وعليه فإنَّه يُمكن للقارئ أن يُطابق بين العبارتيْن، ويُقارن بين الأُسلوبيْن: ليطمئنَّ إلى صحَّة نسبة هذه الرَّسائل إلى مُؤلِّفها.

موضوع المُؤلَّف

* الرِّسالة الأُولى: (البُلْغَةُ والإقْنَاعُ فِي حَلِّ شُبْهَةِ مَسْأَلَةِ السَّمَاعِ):

وقد جعل المُؤلِّف رحمه الله تعالى رسالته في فاتحةٍ، وأربعة عشر فصلاً، وخاتمةٍ، ومُجمل هذه الفُصول فيما يأتي:

الفصل الأوَّل: أنَّ السّماع الاصطلاحيَّ في غالب الأمر لا يُورد على القُلوب حالاً ليس فيه، إنَّما يُثير ما كمن فيه من حقٍّ أو باطلٍ؛ أو خيرٍ أو شرٍّ.

الفصل الثَّاني: أنَّ السَّماع إنْ كان قد عمله ألف صالحٍ زاهدٍ عابدٍ ـ أو أكثر؛ أو أقلَّ ـ فقد تركه جُمهُور أصحاب رسول الله ﷺ؛ وهُم ألُوفٌ مؤلَّفةٌ.

الفصل الثَّالث: أنَّ السَّماع الاصطلاحيَّ مُركَّبٌ من شُبهةٍ وشهوةٍ، فالشُّبهة فيه نصيب الأرواح، وأمَّا الشَّهوة المُمتزجة فيه فهي نصيب النُّفُوس منه.

الفصل الرَّابع: أنَّ السَّماع المشروع الذي كان على عهد رسول الله ﷺ وعهد الخُلفاء الرَّاشدين من بعده وعهد صالحي التَّابعين بعدهم هُو استماع القُرآن المجيد.

الفصل الخامس: أنَّ ذوق السَّماع مباينٌ لذوق الصَّلاة، فكُلٌّ من طرب في السَّماع الاصطلاحيِّ ووَجَد كمال ذوقه لم يجد ذوق التِّلاوة والصَّلاة.

الفصل السَّادس: السَّماع المشروع هُو سماع كلام الرَّبِّ والتَّنعُّم به وبما تضمَّنه من وعده ووعيده وتخويفه وتحذيره وقصصه وأخباره ومواعظه وأنبائه وحِكَمه وأذواقه ومشاربه وآدابه وأخلاقه وفُهُومه وأنواره.

الفصل السَّابع: أنَّ الخُصُوص يفهمُون من القُرآن وتلوح لقُلُوبهم منه أُمورٌ عاليةٌ وأنوارٌ خارقةٌ يكشف منه لقُلوبهم، وفيه تجلِّيات الصِّفات المُقدَّسة، فتمتلئ قُلُوبهم وأسرارهم بأنوار المحبَّة والعظمة والكبرياء.

الفصل الثَّامن: أنَّ من يذوق بقلبه هذه الأذواق العالية في كلام ربِّه لا تطرب نفسه على أبياتٍ فيها ذكر الخُدُود والقُدُود؛ والأعطاف والنُّهُود.

الفصل التَّاسع: أنَّ ممَّا استقرأه العُقلاء والأولياء أنَّهم لم يجدوا صادقًا تواجد في سماع الأبيات إلَّا بَعُد قلبه عند الفراغ منه وعند مُفارقة المجلس ووَجَد قبضًا على قلبه.

الفصل العاشر: أنَّ من وجد في سماع الأبيات ذوقًا صحيحًا إلهيًّا كان بمثابة من سُقِيَ عسلاً في إناءٍ قذرٍ نجسٍ تنبو عن الشُّرب في مثله النُّفُوس.

الفصل الحادي عشر: أنَّ السَّلف رضي الله عنهم كانوا يجدون الأذواق الصَّحيحة المُتَّصلة بالله في الأعمال الصَّحيحة المشروعة في دين الله.

الفصل الثَّاني عشر: أنَّ ما يقع في السَّماع من المصائب يُحزن كُلَّ عاقلٍ.

الفصل الثَّالث عشر: أنَّ اجتماع النَّاس على سماع النِّسوان مُحرَّمٌ بإجماع الأُمَّة لم يختلف فيه أحدٌ من الأئمَّة والعُلماء.

الفصل الرَّابع عشر: أنَّ من اجتمعوا على قوَّالٍ صالحٍ ووَجَد المُستمعون في ذلك ذوقًا صحيحًا منقوصون قد عدلوا عن السَّماع المشروع وهُو سماع الآيات إلى السَّماع المُنحرف المُبتدع وهُو سماع الأبيات.

* الرِّسالة الثَّانية: (لَوَامِعُ الاسْتِرْشَادِ فِي الفَرْقِ بَيْنَ التَّوْحِيدِ والاتِّحَادِ):

وقد ذكر المُؤلِّف رحمه الله تعالى فيها: أنَّ خطابه للعُقلاء الألبَّاء؛ الذين ليسوا بأهل الأهواء، والغرض الخُروج فيما يُخاطبون به عن جُمود التَّقليد، وأن يُزيحوا عن صدورهم التَّعصُّب والتَّعنيد.

وقد أعلمهم أنَّ الله تعالى بعث الأنبياء مُبشِّرين ومُنذرين، ليُخرجوا التَّائهين عن المحجَّة من ظُلمات الحيرة إلى النُّور، وكان أكملهم مُحمَّدًا ﷺ الذي بعثه الله إلى الخلق بشيرًا ونذيرًا، وهاديًا إلى الله بإذنه وسراجًا مُنيرًا، فهدى الله به أُمَّته الجاهلة العمياء، حين كانوا جُفاة لا يعلمون حقًّا ولا يهتدون طريقًا، وانتدب منهم من كَمُلَ استعداده، وعلا قصده ومُراده، إلى التَّحقُّق بحقائق الشَّريعة، والوُصول إلى معالي مقامات الحقيقة، فكانوا أعمق النَّاس عُلومًا، وأعلى الخلق أحوالاً، وأحقَّ النَّاس بالمعرفة تحقُّقًا، وأكثر النَّاس بالأحوال تقمُّصًا.

وكان من قضاء الله وقدره أن خلفت من بعدهم خُلوفٌ عُمومٌ وخُصوصٌ، فالعُموم أضاعوا الصَّلوات واتَّبعوا الشَّهوات، والخُصوص منهم من أضاعوا الأُصول، وجنحوا إلى الفُضول، حتَّى آل الأمر إلى فساد العقائد، والضَّلال في المصادر والموارد، فبالغوا في التَّوحيد، حتَّى وصفوا الكائنات بوحدة الوُجود، فصاروا بذلك في طرفٍ يُقابل الطَّرف الذي مال إليه المُشركون الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ؛ فإنَّهم بالغوا في الشِّرك بالله حتَّى اتخذوا الأنداد من دُون الله، وهؤلاء بالغوا في التَّوحيد حتَّى جعلوا ما اتَّخذه المُشركون من دُون الله مظهرًا ظهر الحقُّ فيها بحقيقته، فوقعوا في حقيقة الإشراك، أشركوا بالله مع كُلِّ شيءٍ؛ حيث جعلوه عين كُلِّ شيءٍ، تعالى الله عمَّا يقوله الظَّالمون، وتنزَّه الله عمَّا ينتحله المُبطلون.

وطريقة الحقِّ هي الطَّريقة الوُسطى، وهي أن يُطلب معرفة الله من حيث تعرَّف به إلى عباده من كتابه وسُنَّة رسوله؛ من ذكر أسمائه وصفاته وبدائع أفعاله وعظمة ذاته.

وقد جعل رسالته في فاتحةٍ، وتقريرٍ، وخاتمةٍ.

* الرِّسالة الثَّالثة: (كِتَابٌ فِيهِ لُمْعَةٌ مِنْ أَشِعَّةِ النُّصُوصِ فِي هَتْكِ أَسْتَارِ الفُصُوصِ):

وقد ذكر المُؤلِّف رحمه الله تعالى أنَّ السَّبب المُوجب لتسطير هذه الأحرف: هُو ما وقر في القُلوب من ترُّهات ابن عربيٍّ؛ حيث صار لها شأنًا في قُلوب السَّالكين، وخطرًا عند المُبتدئين من الطَّالبين، وما ذاك إلَّا لقُصور فهمهم عن مقاصده، وعجز بصائرهم عن مُلاحظة إلحاده في شقاشقه، فاستخار الله تعالى بتعليق كلماتٍ تكون إن شاء الله كشفًا لستر مقالته، وتنبيهًا على إلحاده وضلالته، ممَّا نقله من كلامه في «فُصوص الحكم» نقل المسطرة.

وقد جعل المُؤلِّف رحمه الله تعالى رسالته في فاتحةٍ، وأربعة فُصُول، وخاتمةٍ، ومُجمل هذه الفُصول فيما يأتي:

الفصل الأوَّل: أنَّ جميع ما يُبديه في مُصنَّفاته من الكلام الحقِّ النَّافع هُو ربطٌ واستجلابٌ لقُلوب الطَّلبة؛ كما يُشير إليه في «الفُتوحات» و«المُحكم المربوط» وغيرها، فإنَّ الدَّاعي إلى البدعة لا يُستجاب له إن لم يكن ذا بصيرةٍ بالدَّعوة، يرفق في دعوته ويستدرج الخلق فيها بلطيف الاستدراج، بحيث ينقلهم من مرتبةٍ في عُقولهم إلى مرتبةٍ أُخرى أعلى منها.

الفصل الثَّاني: البدء في قاعدة مذهبه قبل نقل كلامه؛ لتتَّضح القاعدة أوَّلاً في ذهن العاقل، ثُمَّ يتفصَّل عليها جميع ما يُنقل من كلامه.

الفصل الثَّالث: أنَّ قاعدة هذا الرَّجل في اعتقاده وكشفه الباطل: هُو أن يجعل المعدوم شيئًا، ويجعل الماهيَّات بأسرها من جميع ما عُلِم من الأكوان أشياء ثابتة في أنفسها لكن ليس لها وُجودٌ، فأفاض الحقُّ تعالى عليها وُجوده الذَّاتيَّ، فقبلت الوُجود بحسب استعدادها، فظهرت بعين وُجود الحقِّ الذَّاتيِّ، فكان هُو الظَّاهر فيها بحُكم الوُجود، وكانت هي الظّاهرة فيه بحُكم الأسماء لتنوُّعها وتعدُّدها.

الفصل الرَّابع: أنَّ من وفَّقه الله تعالى وفهم هذه القاعدة؛ وحقَّقها في ذهنه الصَّحيح وعقله الرَّاجح؛ ونوّر الله قلبه بنُور الإسلام: عرف أنَّ هذا وهمٌ فاسدٌ وخيالٌ باطلٌ في زُخرفٍ من القول وزُوره؛ لما دلَّ عليه الكتاب والسُّنّة من قِدَم البارئ تعالى بذاته المُقدَّسة وجميع أسمائه وصفاته.

ثُمَّ نقل من كلامه نقل المسطرة بلا زيادةٍ ولا نُقصانٍ؛ ليُستدلَّ بذلك على صحَّة ما بيَّن من مذهبه؛ ليتفطَّن له العُقلاء السَّالكون، والنُّبلاء الطَّالبون، وفرَّق بين ما يقوله هُو وبين ما يُفسِّره من كلامه بفاصلٍ يتميَّز عنه، فحكى قوله في الكلمة الآدميَّة، ثُمَّ في الكلمة الشِّيثيَّة، ثُمَّ في الكلمة النُّوحيَّة، ثُمَّ في الكلمة الإدريسيَّة، ثُمَّ في الكلمة الإبراهيميَّة، ثُمَّ في الكلمة اليعقوبيَّة، ثُمَّ في الكلمة اليُوسُفيَّة، ثُمَّ في الكلمة الأيُّوبيَّة، ثُمَّ في الكلمة الإلياسيَّة، ثُمَّ في الكلمة الهارونِيَّة، ثُمَّ في الكلمة المُوسويَّة، ثُمَّ في الكلمة المُحمَّديَّة.

* الرِّسالة الرَّابعة: (تَلْقِيحُ الأَفْهَامِ فِي مُجْمَلِ طَبَقَاتِ الإِسْلامِ):

وقد جعل المُؤلِّف رحمه الله تعالى رسالته في فاتحةٍ، وأربعة عشر فصلاً، وخاتمةٍ، ومُجمل هذه الفُصول فيما يأتي:

الفصل الأوَّل: أنَّ العبد إذا قرأ كتاب الله عزَّ وجلَّ وسُنَّة رسوله ﷺ؛ وتفقَّه فيهما، وعرف مُراد الله عزَّ وجلَّ من عباده في الأمر والنّهي، واعتقد وُجوبه علمًا؛ وتلبَّس به عملاً: تميَّز بذلك عن التَّتر المُقرِّين بالشَّهادتيْن قولاً ومُخالفتهم حُكمها عملاً.

الفصل الثَّاني: أنَّا لو فرضنا هذا المُسلم بعينه اقتبس من الكتاب والسُّنَّة أنَّ الإلٰه المعبود وهُو ذاتٌ مُنفردٌ بنفسه عن جميع مخلوقاته بائنٌ منها، ومخلوقاته بائنةٌ منه: لصار بينه وبين الاتِّحاد قَدْرٌ مُميَّزٌ.

الفصل الثَّالث: أنَّا لو فرضنا ذلك المُسلم بعينه الذي تلفَّظ بالشَّهادتيْن اقتبس من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ معرفة فضل الصَّحابة والعشرة؛ وامتياز الشَّيْخيْن الصِّدِّيقيْن أبي بكرٍ وعُمر على غيرهم من الصَّحابة، وعرف أيضاً أنَّ الخير والشَّرّ يجري على القدر بهما: لبقي مُفارقًا للرَّافضة مُتميِّزًا عنهم.

الفصل الرَّابع: أنَّا لو فرضنا هذا المُسلم الذي نطق بالشَّهادتيْن استخرج من النُّصوص الشَّرعيَّة الثَّابتة عن رسول الله ﷺ أحاديث الصِّفات، وعرف نَفَس الصَّحابة وتابعيهم وأئمَّة الحديث فيها: لصار بينه وبين الذين يُحرِّفون الكلم عن مواضعه ويُعطِّلون ذلك بالتَّأويل والتَّحريف قدْرٌ مُميَّزٌ.

الفصل الخامس: أنَّا لو فرضنا هذا المُسلم المُقرَّ بالشَّهادتيْن الذي بينه وبين جميع الفِرَق قدْرٌ مُشتركٌ عرف طريقة الرَّسول ﷺ من سيرته وسُنَّته؛ ووصلت دعوة الرَّسول ﷺ إلى قلبه: لبقي بينه وبين أهل الطَّريق المُنحرفة قدْرٌ مُميَّزٌ فارقٌ.

الفصل السَّادس: أنّا لو فرضنا هذا المُسلم المُقرَّ بالشَّهادتيْن حصَّل العلم الشَّرعيَّ ثُمَّ توجَّه إلى العمل به وحَمْل أثقاله وأعبائه: لبقي بينه وبين الفُقهاء الذين هُم أوعية العلم الذين نهمتهم تحصيل العلم ولا نهمة لهم بالتزام أحكامه بوْنٌ كثيرٌ.

الفصل السَّابع: أنَّا لو فرضنا هذا المُسلم المُقرَّ بالشَّهادتيْن اقتبس من الكتاب والسُّنَّة علم الخوف ومعرفة الآخرة والانتباه لإصلاح الحال مع الله عزَّ وجلَّ: لصار بينه وبين أهل الزِّيِّ الظَّاهر والمُرتسمين به قدْرٌ مُميَّزٌ.

الفصل الثَّامن: أنَّا لو فرضنا هذا الشَّخص المُقرَّ بالشَّهادتيْن اقتبس من الكتاب والسُّنَّة عُبُوديَّة الله عزَّ وجلَّ وتألُّهه وإخلاص العبادة والعُبُوديَّة له: لبقي بينه وبين أهل الزِّيِّ الظَّاهر العاكفين على الرُّسوم قدْرًا مُميّزًا.

الفصل التَّاسع: أنَّا لو فرضنا هذا المُسلم المُشار إليه شارك النَّاس في الشَّهادتيْن وتلبَّس بعلم الكتاب وفقه الدِّين والسُّنَّة وعامل الله عزَّ وجلَّ باتِّباع أمره واجتناب نهيه وصَدَق الله في المُعاملة: لبقي بين من أصلح الباطن وبين من اقتصر على الظَّاهر دُون الباطن قدْرٌ ظاهرٌ وبوْنٌ مُميَّزٌ.

الفصل العاشر: ولو فرضنا هذا المُسلم المُتلفِّظ بالشَّهادتيْن ما أخلص لله تعالى في المُعاملة وصفا قلبه من كدر النَّفس وأشرق بأنوار الذِّكر؛ انكشف لقلبه أنوار صفةٍ من الصِّفات: لكان بينه وبين من لم يُكشف له الحجاب من صُلحاء الفُقهاء الذين لم يذوقوا طُعُوم هذه الأشياء، ومن صُلحاء العُبَّاد وأهل التَّصفية أيضًا تميُّزًا ظاهرًا وفَرْقًا بيِّنًا.

الفصل الحادي عشر: أنَّا لو فرضنا هذا المُكاشَف بالصِّفات رَاضَ نَفْسَه بين يدي خالقه بمحو التَّدبير والاختيار، ورضي بمحض تدبير الله عزَّ وجلَّ واختياره: لكان بينه وبين من شهد الصِّفات ونفسه قائمةٌ مُتخيِّرةٌ فرْقٌ ظاهرٌ وبوْن عظيمٌ.

الفصل الثَّاني عشر: أنَّا لو فرضنا هذا العبد البارَّ المُكاشَف بالصِّفات القائم بوظيفة العُبُوديَّة رقَّاه الله عزَّ وجلَّ إلى محبَّته الخاصَّة المُلهبة للأفئدة: لكان بينه وبين صاحب الصِّفات والاستسلام قدْرٌ مُميَّزٌ فارقٌ.

الفصل الثَّالث عشر: أنَّا لو فرضنا عبدًا جذبه الله عزَّ وجلَّ إليه جَذْبًا؛ وقرَّبه وأدناه؛ وآنسه وناجاه: لكان بينه وبين الأوَّل المحبوب فَرْقًا عظيمًا وبوْنًا ظاهرًا مُستبينًا.

الفصل الرَّابع عشر: كيف فارق المُعْتَقِدُ لأحكام الإسلام التَّتار باستهانتهم بأحكام الإسلام ورُجوعهم إلى الياساق؟ وكيف تميَّز من أثبت انفراد الحقِّ عزَّ وجلَّ بذاته وصفاته واعتقد بينونته من خلقه عن أهل الاتِّحاد؟ وكيف تميَّز العارف بفضائل الصَّحابة وبتسليم الأقدار إلى الله تعالى خيرها وشرِّها على الرَّافضة؟ وكيف تميَّز الفقيه في دينه ـ وإن لم يكن عاملاً بعلمه ـ عن الجاهل بالعلم ـ وإن اشتركا في عدم العمل ـ عن جهلة العوامِّ؟ وكيف تميَّز العارف بالرَّسول ﷺ من السِّير والمغازي والمُعجزات والكرامات والسُّنن المُحبُّ له المُتَّبع لطريقه وطريقة أصحابه عن الفُقراء أهل الأحوال المُنحرفة والبدع المُحدثة المُعرضين عن الشَّريعة وصاحبها؟ وكيف تميَّز صاحب المُعاملة والاجتهاد من الفُقهاء عمَّن طلب الدُّنيا بالعلم فأكلها بالدِّين؟ وكيف تميَّز أهل الإخلاص وإصلاح الباطن عن أهل الزِّيِّ والمُرقَّعات الحسنة والجماجم البيض؟ وكيف تميَّز الذين وَقَرَتْ ربَّانيَّة الحقِّ في قُلُوبهم وعبادته من عبادة الرُّسُوم ومُراعاة الوظائف واصطلاح مشايخهم في الهيئات الوضيعة والآصار والأغلال البدعيَّة؟ وكيف تميَّز أهل الذَّوق ومُشاهدة الصِّفات عن أهل الخُمُود والحبس في مضايق الكون من الفُقهاء والعُبَّاد؟ وكيف تميَّز صاحب العُبُوديَّة عن صاحب التَّدبير والاختيار؟ وكيف تميَّز صاحب المحبَّة الخاصَّة المُلهبة للباطن عمَّن لم يبلغ ذلك وكان قلبه باردًا؟ وكيف تميَّز المجذوب المحبوب عن السَّائر المحبوب بما تولاه مُولِّيه من الكرامة؟

مصدر المُؤلّف

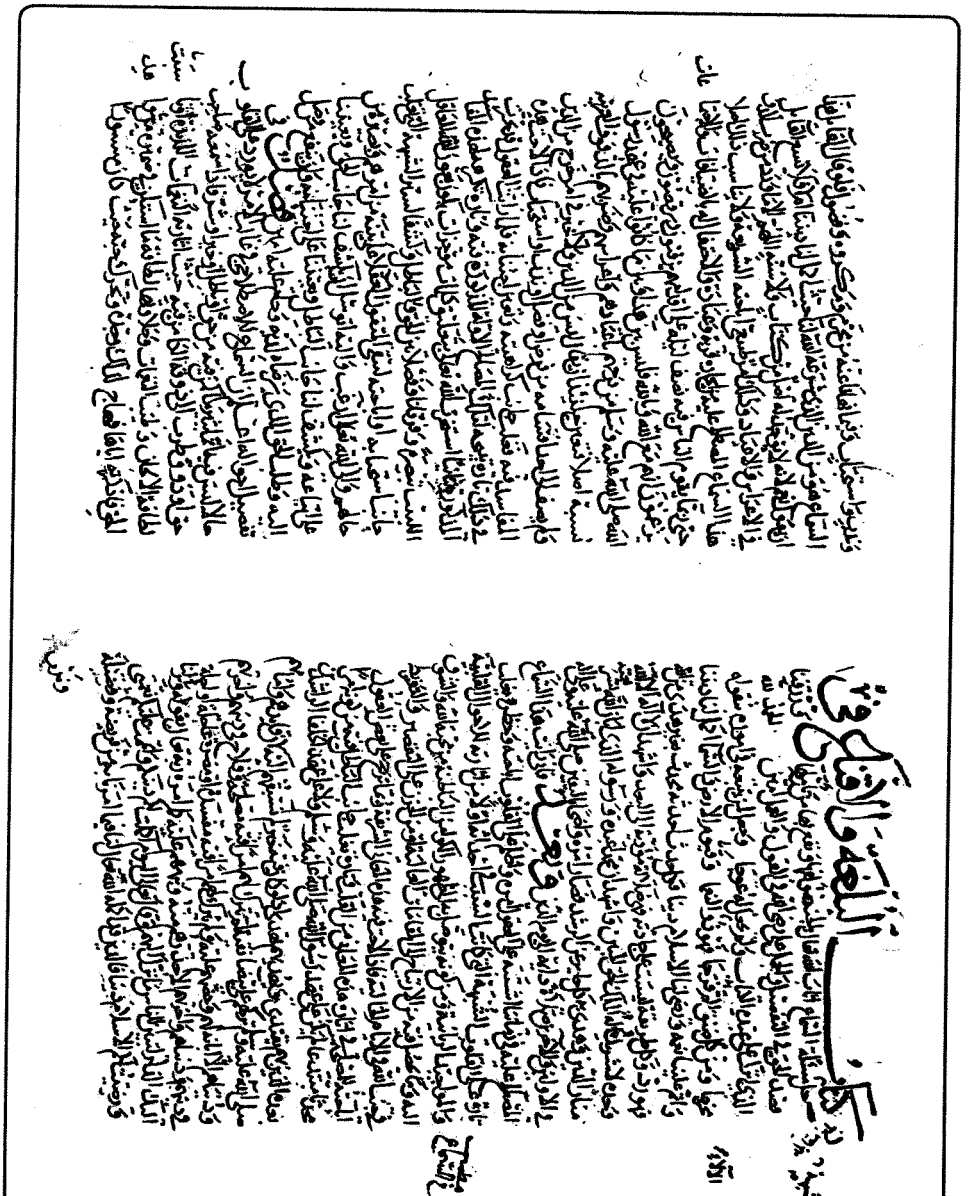
تتلخَّص المعلومات المُتعلِّقة بمصدر المُؤلَّف في كونه قد استخرجت رسائله الأربع من مجموعٍ مُودعٍ في (مكتبة حاجي سليم آغا) في اسطنبول، وهي إحدى مكتبات الإدارة العامَّة للمكتبات؛ التَّابعة لوزارة الثَّقافة التُّركيَّة، ورقم هذا المجموع: (٤٠٤)[١]، وقد رُقِمَ هذا المجموع بخطٍّ مشرقيٍّ مُعتاد، وتقع هذه الرَّسائل الأربع في عشرين ورقة، ومُسطَّرتها (٢٣) سطرًا، وعدد كلماتها المُودعة في أسطرها تتراوح ما بين (١٠ ـ ١٤) كلمة، وإليك صُور أوائل وأواخر هذه الرَّسائل الأربع:

❑❑❑

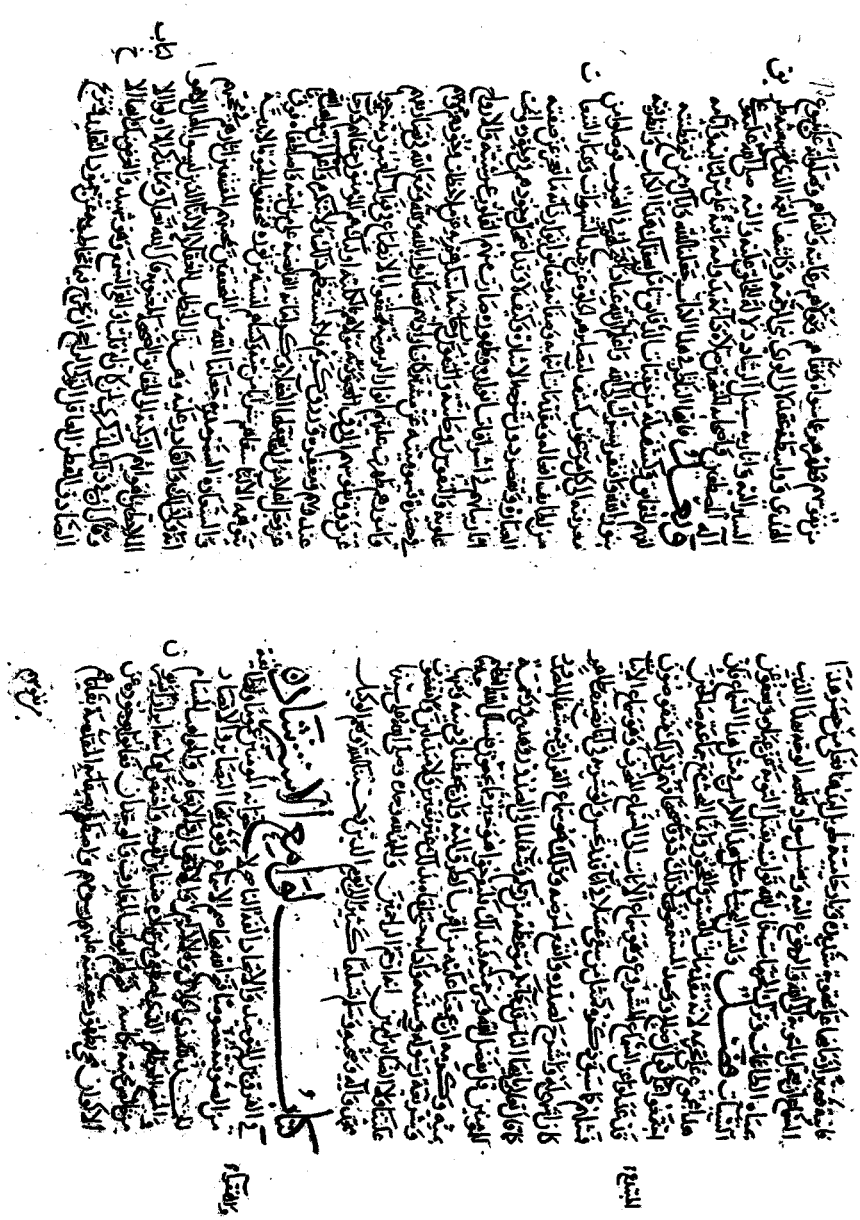
---

(١) أكرمني بصورةٍ من نُسخ الرَّسائل الخطِّيَّة: من له بالعلم بالغ عنايةٍ، وبمخطوطاته سابغ رعايةٍ: الشَّيخ الجليل؛ والأخ النَّبيل: مُحمَّد بن ناصرٍ العَجْميُّ؛ حفظه الله تعالى ورعاه، وبارك في جهده ومسعاه.
كما أكرمني بنُسخةٍ خطِّيَّةٍ ثانيةٍ من الرِّسالة الثَّالثة «كِتَاب فِيهِ لُمْعَةٌ مِنْ أَشِعَّةِ النُّصُوصِ فِي هَتْكِ أَسْتَارِ الفُصُوصِ»: الأُستاذ المُحقِّق؛ والشَّيخ المُدقِّق: مشهور بن حسن آل سلمان؛ حفظه الله تعالى ورعاه، وبارك في جهده ومسعاه.
وهذه النُّسخة الخَطِّيَّة الثَّانية مُودعةٌ في مكتبة تشستربيتي (دبلن/ ايرلندا)، وقد نُسبت في فهرستها (٢/ ٩٣٣) إلى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيميَّة، وقد رمزت لنُسخة مكتبة حاجي سليم آغا بحرف (ح)، كما رمزت لنُسخة مكتبة تشستربيتي بحرف (ت).
وقد جاء في طُرَّة نُسخة مكتبة تشستربيتي: (**هذا كتاب «أشعَّة النُّصُوص؛ في هتك أستار الفُصُوص»** للقُدوة العارف عماد الدِّين أحمد بن إبراهيم الواسطيِّ، وله رسالتان أُخريان: الأوَّل سمَّاه: **«البيان المُفيد؛ في الفرق بين الإلحاد والتَّوحيد»**، والثَّاني: **«لوامع الاسترشاد؛ في الفرق بين التَّوحيد والإلحاد»**، ذكره البقاعيُّ في **«تنبيه الغبيِّ؛ على تكفير ابن عربيٍّ»**).

نماذج صور من المخطوط

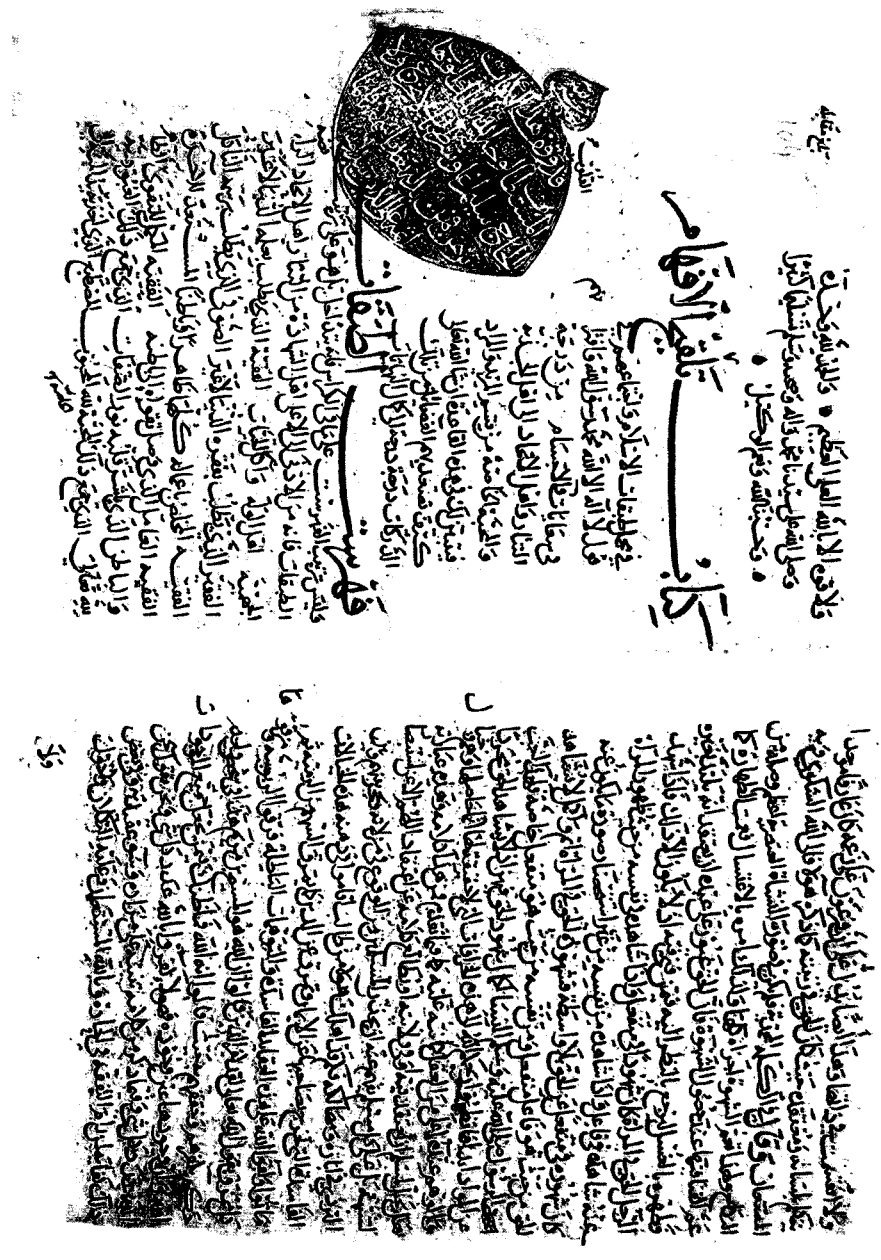


صُورة عُنوان وفاتحة الرِّسالة الأُولى



صُورة خاتمة الرِّسالة الأُولى، وعُنوان وفاتحة الرِّسالة الثَّانية

صُورة خاتمة الرِّسالة الثَّانية، وعُنوان وفاتحة الرِّسالة الثَّالثة



صُورة خاتمة الرِّسالة الثَّالثة، وعُنوان وفاتحة الرِّسالة الرَّابعة

وهو يقع فيها حمارتها لمن يخرج عن وجهه في الشوك والوعر هذا يلطمه
وهذا يعثر وهذا ينهره وهذا يخذله وهذا ينظره شرارا وهذا يندمه
على فوت الدنيا ويوبخه بطلب الفوت فلا يجد يسأل لحيانا ويكتسب
احيانا حتى يطول مدته فيرى عند ذلك طريقه وسبيله ويحفظه الله فلا
يرجع القهقرى حتى يقع في ميدان المحبة المبدد ويذكره فاكان بينه وبين الاول
المحبوب فرقا عظيما وبونا ظاهرا مستبينا وقد رحمة الله لك في هذا الحين
جعل لاهل الاسلام في درجاتهم ومقاماتهم كل فريق باي عمل ارتفعوا وتميزوا
به على من دونهم في الدرجة فباي تقصير احطوا عن فوقهم وهذا
مبين ان نرى به نفسك فنظري اي الاقسام انت ولتري ما ينبغي
من النقايص الخاطر لاهلها فينتقل عنها وترقى ما ينبغي من الفضايل الرفيعة
لك فتشكر الله عليها

فصل

كيف فارق المعتقد لاحكام الاسلام الخائف من انتهاك المحرمات
وان تضرب في بعض الاوامر نزرها وفي بعض النواهي ارتكابها. الشعار
باستهانتهم باحكام الاسلام وارجوعهم الى الباساق وكيف تميز من
اثبت انفراد الحق عز وجل بذاته وصفاته واعتقد بيسوته من خلقه
عن اهل الاتحاد وكيف تميز العارف بفضايل الصحابة وتسليم الاقدار
الى الله تعالى خيرها وشرها واتقن وجوب الجمعة والجماعة على
الرافضة وكيف الفقه في دينه وان لم يكن عالما بعلمه عن الجاهل
بالعلم وان اشتركا في عدم العمل عن جهلة العوام كيف الثاركين للعمل
من اهل السنة وكيف تميز العارف بالرسول صلى الله عليه وسلم
من السير والمغازي والمعجزات والكرامات والسنن المحتملة
المتبع لطريقه وطريقة اصحابه عن القفرا اهل الاحوال المخرفة
والبدع المحدثة المعرضين عن الشريعة وصاحبها المقبلين على طريقة

مخالفيهم واصحابهم وكيف تميز صاحب المعاملة والاجتهاد
من الفقها عن طلب الدنيا بالعلم فاكلها بالدين اهل المداهنة والتكالب
على المناصب وكيف تميز اهل الاخلاص واصلاح الباطن هم اهل الزي
والرقعات المستنة والمجاهم البيض وكيف تميز الدين وقرب ولايته للحق
في قلوبهم وعبادته من عبادة الرسوم وتميز اقامة الوظايف واصطلاح
مشايخهم في الهنات الوضيعة والاصاغر والاغلال البدعية التي يراد
الله عز وجل فقد صارت اهتمامهم واضنانهم في الخلوف عليها وذم من اعرض
عنها وتعظيم من قام بالرسم وتوقيره وتبجيله وكيف تميز اهل الذوق
ومشاهدة الصفات عن اهل الغنود والحبس في مضايق الكون وتميز الفقرا
والعباد وكيف تميز صاحب العبودية عن صاحب التدبير والاختيار
وكيف تميز صاحب المحبة الخاصة الالهية للباطن عن لم يبلغ ذلك
وكان قلبه باردا وكيف تميز المجذوب المحبوب عن الشاير المحبوب كما
تولا. مولاه من الكرامة فاعلم ان المتبع يشترك مع الاسلام والتلفظ
بالشهادتين ولو بسئل احدهم كل انا مسلم وبعض المنسبة الى غير الاسلام
ومع ذلك فقد يشتركون في ظواهر الاعمال من صوم رمضان والحج
والصلاة وغير ذلك فانظر رحمك الله كم بين طبقاتهم من التفاوت
العظيم صعودا وانحطاطا واستقامة وانحرافا ونسئل الله العظيم
ان يجعلنا ممن سلك اعلى المراتب من الايمان وحققنا بفضله وكرمه
بحقايق اليقين والعرفان انه الحنان المنان ذو الفضل والاحسان
آخر ما تيسر من هذا الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

القسم الثاني يشتمل على [illegible]

البُلغَةُ والإقناع
في حَلِّ شُبْهَةِ مسألةِ السَّماع

تأليفُ

الإمامِ الزَّاهِدِ النَّاسِكِ، والعَالِمِ العَابِدِ السَّالِكِ
عِمادِ الدِّينِ أبي العَبَّاسِ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الواسِطيِّ
المعروفِ بابنِ شيخِ الحزَّاميِّين
(٦٥٧ - ٧١١هـ)

تحقيقٌ وتعليقٌ

الدكتورِ وليدِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ العليِّ

أثاب الله تعالى بالجنَّة مُؤلِّفها، ونفع بها من تأمَّلها، ورزقنا قصد الحقِّ في التَّفصيل والجُمل، على رضى الله في القول والعمل، آمين[١].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا۟ۜ﴾[٢]، وجعل لمن يتَّبعه في أُموره بتقواه مخرجًا، ومن كُلِّ ضيقٍ ألمَّ به فَرَجًا، فهُو ذُو الآلاء والنَّعماء[٣]، وقيُّوم الأرض والسَّماء، أكمل لنا ديننا وأتمَّ علينا نعمه ورضي لنا الإسلام دينًا، فكُلُّ حَدَثٍ أحدثه مُحْدِثٌ بغير هُدى من الله فهُو ردٌّ، وكُلُّ طريقةٍ ليست على جادَّته فهي ضلالةٌ مُؤدِّيةٌ إلى البُعد.

وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له المِلك الحقُّ المُبين.

وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله؛ الذي أبان الله بشريعته منار الدِّين، وهدى به كُلَّ حائرٍ عن الرُّشد فصار أمره واضحًا باليقين، صلَّى الله عليه وعلى آله في الأوَّلين والآخرين، صلاة دائمة إلى يوم الدِّين.

وبعد:

فإنِّي رأيت هذا السَّماع المُصطلح عليه في زماننا اشتبه على العُقُول أمره، وأظلم على القُلُوب إباحته وحظره.

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (بلغ مقابلة).

(٢) سُورة الكهف: الآية ١.

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (ذُو الآلاء النَّعماء).

يغلب تارة على القُلُوب الشُّبهة التي كانت السَّبب في إحداثه أوَّلاً[١]؛ من إثارته للأحوال القلبيَّة والمواجيد الرَّبَّانيَّة، ومن كونه يُتوصَّل به إلى ظُهُور الكوامن الباطنة من محبة الله والشَّوق إليه، وما يحصل فيه من الارتياح إلى المقامات العالية؛ أو من الحُزن على التَّقصير والتَّفريط في جنب الله في الأيَّام الخالية.

فإذا لاحت فيه هذه المعاني الشَّريفة: رُبَّما ترجح على بعض العُقُول إباحته للمصلحة في إثارة هذه المعاني من القلب.

وتارة يغلب جانب الباطل فيه؛ من كونه أمرًا مُحدثًا مُبتدعًا لم يكن على عهد رسول الله ﷺ، ولا على عهد الخُلفاء الرَّاشدين بعده؛ الذين بهم يُقتدى، وبهديهم يُهتدى[٢]؛ إذ لو كان فيه خيرٌ لم نسبقهم إليه.

لأنَّ قائدهم وإمامهم ﷺ تركهم على بيضاء نقيَّةٍ، لم يترك لهم أمرًا فيه مصلحةٌ وفلاحٌ في دينهم وآخرتهم ودُنياهم إلَّا أبانه لهم وحضَّهم عليه، ولم يترك لهم أمرًا فيه مفسدةٌ أو مضرَّةٌ عاجلةٌ أو آجلةٌ في دينهم ودُنياهم وآخرتهم إلَّا حذَّرهُم منه ونبَّههم عليه.

كما أمره ربُّه تعالى بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٤].

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (مطلبٌ: في السَّماع).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (تُهدى).
(٣) سُورة النَّحل: الآية ٤٤.
(٤) سُورة المائدة: الآية ٤.

فالدِّين قد أكمله الله تعالى لنا فيما أمرنا به من فريضةٍ وفضيلةٍ وندبٍ واستحبابٍ، وفيما نهانا عنه من مُحرَّمٍ ومكروهٍ وفُضُولٍ.

فلو قال القائل: هذا السَّماع هُو من الدِّين الذي شرعه الله لنا ـ حيث أكمل لنا ديننا ـ أم لا؟

فلا يتَّسع القائل أن يقول: نعم؛ لأنَّه لا يُوجد له أصلٌ من كتابٍ ولا سُنَّةٍ، اللَّهُمَّ إلَّا ما ورد من ضرب الدُّفِّ في الأعراس والأعياد، وذلك أمرٌ طبيعيٌّ أباحته الشَّريعة، ولا يُناسب ذلك أصلاً هذا السَّماع المُصطلح عليه من إيجاده قُربة وعبادة، والاحتفال له بالضِّيافات والاجتماعات، حتَّى رُبَّما يقوم النَّاس فيه نصف ليلةٍ على أقدامهم يزفنون[١] ويرقصون ويصيحون، يزعمون أنَّهم مع الله وبالله.

فليس بين هذا وبين ما كانوا عليه في عهد رسول الله ﷺ من فرحهم بأعيادهم وأعراسهم وضربهم بالدُّفُوف العربيَّة نسبة أصلاً، فتعيَّن حينئذٍ أن يُقال: ليس من الدِّين، ولا خير في أمرٍ خرج من الدِّين؛ ولم يَصُفَّ إلى أحد أقسامه من فرضٍ أو فضلٍ أو ندبٍ أو استحبابٍ، فإذا لاحت هذه المفاسد فيه: تَغَلَّبَ[٢] جانب كراهيَّته؛ وتَعَيَّنَ اجتنابه.

فلمَّا رأيت العُقُول قد تحيَّرت في ذلك؛ تارة تُبيحه لتلك المصالح الأوَّلة المذكورة فيه، وتارة تكرهه لهذه المفاسد المذكورة ثانيًا: استخرت الله تعالى بتعليق كلماتٍ مُوجزاتٍ تكون[٣] بعون الله للعاقل اللَّبيب تبصرة وفُرقانًا وفصلاً بين الحقِّ والباطل، وكشفًا لستر الشُّبهة التي تُغَلِّب جانب

---

(١) أي: يلعبون لعبًا شبيهًا بالرَّقص.

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (فغلب).

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يكون).

استحبابه أو إباحته، ليبقى المُتَّقون العُقلاء على بيِّنةٍ من أمرهم؛ وبصيرةٍ من حالهم.

وإلى الله تعالى أرغب، وإليه أتوسَّل: أن يكشف لنا جانب الحقِّ ويُعيننا على اتِّباعه، ويكشف لنا جانب الباطل ويُعيننا على اجتنابه، وأن ينفع من وصل إليْه، وطلب الحقَّ الذي يرضاه لديْه، وحام عليْه، آمين.

فصلٌ في تفصيل أحواله

اعلم أنَّ السّماع الاصطلاحيَّ في غالب الأمر لا يُورِدُ على القُلوب حالاً ليس فيه، إنَّما يُثير ما كَمَنَ فيه من حقٍّ أو باطلٍ؛ أو خيرٍ أو شرٍّ، فإذا سمعه صاحب حقٍّ أو ذوقٍ: طرب إلى ذوقه الكامن فيه، حيث أثارته النَّغمات اللَّذيذة، أو ناسبت لطافة الألحان وطيب النَّغمات وحلاوتها لطافة ما استكنَّ في ضميره من شواهد الحقِّ فأَذْكَرَتْهُ إيَّاها، فهاج لذلك وَجْدُه وتحرَّك حُبُّه، حيث كان مستورًا في غير السَّماع بالحُظوظ والأُمُور المُشتعلة، فأخلى السَّماع باطنه عن الأغيار فخمدت[1] فيه الوساوس وسكنت النَّفس، فتحرَّكت القُلُوب بمُقتضى ما سكن فيها من المحبَّة والشَّوق والأُنْس والقُرْب وغير ذلك من الأحوال التي يُثيرها السَّماع بالألحان المُطْرِبَة والنَّغمات اللَّذيذة في الأشعار الرَّائقة الرَّقيقة؛ لما فيها من الصَّدِّ والهجر، والبُعْد والقُرْب، والملاحة والحُسْن، وتناسب[2] أوزان الشِّعر أيضًا ولطافة المعاني وحُسْن الصَّوت وظرافة الإيقاع والتَّصفيق ـ خصُوصيَّة ذلك النَّوع من المُوسيقى وأصنافه ـ ما في قلب هذا المُحبِّ المُشتاق.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (فحمدت).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (تاسب).

فحيث وجد المُناسبة اضطرب وتحرَّك؛ إذ لكُلِّ نوعٍ من المُوسيقى خُصُوصيَّة، فإنَّ للزولكند خُصُوصيَّة في الطَّرب، وكذلك[١] للرَّاست والحجازيِّ والرهوي والعراقيِّ والعشاق والنَّوا والنَّيروز وغيره[٢].

فبعض الطِّباع تُحرِّكها أحد هذه الأنغام؛ لمُناسبةٍ بينه وبين طبعه.

فيا معشر العُقلاء: فهل معنى غير ذلك في السَّماع؟!

هذا مجموع جُمله وتفصيله إن شاء الله تعالى.

ولذلك يُثير هذا السَّماع بهذه الصِّفات والأوزان ما كَمَنَ في قُلُوب الفُجَّار من محبَّة أغراضهم الفاسدة، خُصُوصًا إذا كانوا عُشَّاقًا مهجورين، وكان المعشوق حاضرًا، ثُمَّ ذَكَرَ الحُسْن والجمال والصَّدَّ والقطع والمُواصلة والمُعانقة.

وفيهم من تثور[٣] عليه شهوة النِّكاح إذا طرب في السَّماع، خُصُوصًا إذا سمع قول الشَّاعر[٤]:

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (لذلك).

(٢) قسَّم الأُستاذ الدُّكتور صالح المهدي المقامات المُوسيقيَّة العربيَّة إلى ثلاثة محاور؛ كما في كتابه: «المُوسيقى العربيَّة ـ مقاماتٌ ودراساتٌ ـ» (ص١٦ ـ ١٨).

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يثور).

(٤) هُو أبو الحسن عليُّ بن العبَّاس بن جُريْجٍ ـ المعروف بابن الرُّوميِّ ـ؛ كما في «ديوانه» (٣/ ٤٠٦)، وفيه:

أُعانقها والنَّفسُ بعدُ مشوقةٌ ... إليها وهل بعد العناق تداني

فألثمُ فاهًا كي تموتَ حزازتي ... فيشتدُّ ما ألقى من الهيمان

وما كان مقدار الذي بي من الجَوَى ... ليَشْفِيهِ ما ترشفُ الشَّفَتانِ

كأنَّ فؤادي ليس يَشْفي غليلَه ... سوى أنْ يرى الروحَيْن يمتزجان

أُعانقها والنَّفسُ بعدُ مشوقةٌ إليها وهل بعد العناق تداني
وألثم فاهًا كي تزول صبابتي فيزدادُ ما عندي من الهيماني

ثُمَّ قد لا يكون عنده من المُروءة والحزم والعقل ما يكظم به ما هيَّجه عليه السَّماع من الشَّهوة، فأيُّ مفسدةٍ تُؤدِّي إلى خراب الدِّين مثل هذه[١]؟

فيكون سماعه حرامًا، ووَجْده حرامًا، وخطراته حرامًا، ويتقلَّب في المحظور من أوَّل السَّماع إلى آخره.

وإن كان فيه إثارةٌ لوَجْدٍ صادقٍ في آحاد الصَّادقين؛ بحيث يكون في الجمع منهم اثنان أو ثلاثةٌ وكان فيه إثارةٌ لفسق الفاسقين، أو للَحْظ المحظوظ في أهل الحُظُوظ ـ وإن كانوا مستورين بحيث يكون في الجمع مثلاً منهم عشرون أو ثلاثون ـ: هل تُقاوم مصلحتُه مفسدَته؟

كلا والله؛ ما أعرض الشَّارع ﷺ عن مثل هذا السَّماع ولم يأمرنا به إلَّا لرُجحان مفسدته في الأُمَّة على مصلحته.

وكم من مفسدةٍ نتجت منه؟! مثل: محبَّةٍ مُحرَّمةٍ، واجتماعٍ مُحرَّم، ونظرٍ مُحرَّم، وربَّما كان السَّماع بعينه سببًا للحُبِّ الحرام والنَّظر الحرام في حالة السَّماع.

ولو كان في السَّماع خيرٌ ولنا فيه مزيد فضلٍ أو قُرْبٍ من الله تعالى أو طريقٍ إلى رضاه: لم يكتمه عنَّا ﷺ، وقد أعلم أُمَّته كُلَّ شيءٍ حتَّى الخِرَاءَة[٢]، لكن حذَّرنا من الابتداع، وقال: «**كُلُّ مُحدثةٍ بدعةٌ، وكُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكُلُّ ضلالةٍ في النَّار**»[٣].

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (هذا).

(٢) أي: التَّخلِّي والقُعود للحاجة.

(٣) أخرجه النَّسائيُّ في سُننه [كتاب صلاة العيدَيْن/ باب كيف الخطبة ـ الحديث رقم =

فثبت بهذا التَّقرير: أن مفسدة السَّماع في أغلب الأُمُور وعُمُوم النَّاس أرجحُ من مصلحته، والسَّماع الذي فيه مصلحةٌ ظهر رُجحانها ـ بحيث نتج منه وَجْدٌ صادقٌ وذِكْرُ الله تعالى ـ: هُو سببٌ ووسيلةٌ إلى الاجتماعات المحظورة التي ترجح مفسدتها على مصلحتها، فقد صار اجتماع الصَّالحين فيه حُجَّةٌ لاجتماع الفاسقين، حتَّى نشأ من ذلك اجتماعاتٌ قبيحةٌ تجري فيها أُمورٌ مُنكرةٌ؛ يقتدون فيها بالفُقراء[1]، لا بالأنبياء، نعوذ بالله من البدع كُلِّها؛ ما ظهر منها وما بطن.

وما أحسن الوُقُوف حيث وقف الإمام ﷺ، وما أحزم من ترك التَّقدُّم بين يَدَيْ سُنَّته بقولٍ أو فعلٍ، وبالله المُستعان.

فصلٌ

وقد يقول القائل: فهذا السَّماع قد عمله جمعٌ من الأولياء، وممَّن لا يُشكُّ في عُلُوِّ منزلته عند الله، مثل: طبقات الصُّوفيَّة؛ الجُنيد وأصحابه، والشِّبليِّ وأمثاله، مثل يُوسف بن الحُسيْن الرَّازي، ومن قبله مثل: ذي النُّون المصريِّ وغيرهم، فكيف يسوغ لنا تخطئتهم؟

فيقال: إن كان قد عمله ألف صالحٍ زاهدٍ عابدٍ ـ أو أكثر، أو أقلَّ ـ فقد تركه جُمهُور أصحاب رسول الله ﷺ، وهُم أُلُوفٌ مؤلَّفةٌ، إن كان قد فعله ذُو النُّون فقد تركه أبو بكرٍ الصِّدِّيق، أو كان قد حضره الجُنيْد ـ فقد ثبت

= (١٥٧٨) ـ (ص٢٦٠)] من حديث جابر بن عبد الله الأنصاريِّ رضي الله عنهما، وأخرجه مُسلمٌ في صحيحه [كتاب الجُمعة/ باب تخفيف الصَّلاة والخُطبة ـ الحديث رقم (٨٦٧) ـ (٢/ ٥٩٢)] بلفظ: «**وشرُّ الأُمور مُحدثاتها، وكُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**»، دُون قوله: «**وكُلُّ ضلالةٍ في النَّار**».

(١) أي: الصُّوفيَّة.

عن الجُنيْد أنَّه تاب عن السَّماع وتركه قبل وفاته ـ وقد غاب عنه عُمر الفاروق، ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1].

وكفى بالمُؤمن المُتَّبع لدين الله؛ المُقتفي لآثار رسول الله ﷺ وآثار أصحابه: أن يقتدي بالقُرُون الثَّلاثة ـ القرن الأوَّل الذي فيه الرَّسول ﷺ وأصحابه، ثُمَّ قرن التَّابعين بعده، ثُمَّ قرن تابعي التَّابعين بعده ـ، لم يكن هذا السَّماع في هذه القُرُون الثّلاثة، وإنَّما حدث بعدهم، ولا خير في بدعةٍ حدثت بعدهم.

فصلٌ

والتَّحقيق في هذا السَّماع الاصطلاحيِّ أنَّه مُركَّبٌ من شُبهةٍ وشهوةٍ، فالشُّبهة فيه: نصيب الأرواح، إذا سمعت ذكر المحبَّة والمحبوب ـ كما مرَّ أولاً ـ حرَّك ذلك الرُّوح لمن في قلبه شيءٌ من الحقِّ، فهذا قَدْر الشُّبهة.

وأمَّا الشَّهوة المُمتزجة فيه: فهي نصيب النُّفُوس منه، وذلك أنَّ النُّفُوس تلتذُّ وتطرب بالألحان المُطْرِبَة، وتأخذ بحظِّها الوافر منه، حتَّى رُبَّما أسكرها، وفعل فيها فعل الشَّراب.

فإنَّ ثلاثة أشياء تنفعل لها الطِّباع وتسكر بها: السَّماع، والصُّورة، والخمر، ففيه حال طبيعيٌّ منسوبٌ إلى الطَّبع، حتَّى إنَّ الأطفال والحيوانات رُبَّما أثَّر فيها الحُدَاء والسَّماع، وقد تمتزج بهذا الحال الطَّبيعيِّ أحيانًا نصيبٌ من الحقِّ الذي هُو حظُّ الرُّوح من محبَّة الله تعالى.

فتبيَّن بهذا التَّقرير: أنّه مُركّبٌ من حقٍّ وباطلٍ، وهُو معنى قولنا: شُبهةٌ؛ وهُو شُبهة الحقِّ الذي فيه.

---

(١) سُورة الأنعام: الآيتان ٨١، ٨٢.

وقولنا: شهوةٌ؛ وهُو ما للنُّفُوس فيه من الحظِّ، ولأجل الباطل الذي فيه قد يدخل على أهل الحظِّ المحمود فيه دواخل قادحةٌ، ورُبَّما غلب سُكر النُّفُوس فيه على حظِّ الأرواح، فانغمر فيه فصار الحُكم له، ويصير النَّصيب خالصًا للشَّيطان، فصاحب الحقِّ في السَّماع قد يغلب عليه جانب الباطل وينغمر الحقُّ فيه ويستهلك؛ لكون أنَّ صُورة هذا السَّماع غير مشروعةٍ وليست من الدِّين ولا من الإسلام، فهي صُورةٌ مُبتدعةٌ، فلهذا السَّبب قد يقوى جانب النَّفس والشَّيطان فيه على جانب ما تتحرَّك به الأرواح في أهل الأذواق الصَّحيحة.

هذه قاعدةٌ يفطن لها إن شاء الله كُلُّ مُنصفٍ عاقلٍ قد غاص في أعماق حقائق السَّماع، وعرف مضارَّه ومنافعه، ومصالحه ومفاسده، والله المُوفِّق والمُعين.

فصلٌ

وأمَّا السَّماع المشروع الذي كان على عهد رسول الله ﷺ وعهد الخُلفاء الرَّاشدين من بعده وعهد صالحي التَّابعين بعدهم: فهُو استماع القُرآن المجيد، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1].

فسماع الآيات هُو نصيبٌ خالصٌ للأرواح لا تُشاركه فيه النَّفس ولا الشَّيطان، ولا يغلبان فيه على جانب حظِّ الرُّوح، والنَّفس في هذا السَّماع مقهورةٌ، والشَّيطان مخذولٌ مقموعٌ فيه، والحقُّ مُستعلنٌ ظاهرٌ، فإنَّه صفة الرَّبِّ تعالى، يتجلَّى فيه الموصوف بتجلِّيات صفاته في قُلوب محبِّيه ومُريديه ـ أهل الأذواق الصَّحيحة ـ، فيلوح لهم في حالة استماعهم له آثار

---

(١) سُورة المائدة: الآية ٨٣.

العظمة والجلال والرَّأفة والرَّحمة واللُّطف والمنّة والقهر والانتقام، وغير ذلك من آثار الصِّفات، يذُوقها من انفتحت مَسَامُّ قلبه، وَصَفَتْ بصيرته، وحَسُنَتْ سريرته، وخالف النَّفس والهوى بحُسْن مُجاهدته ورياضته، فذلك هُو السَّماع المشروع.

ورُبَّما يقول القائل: فالنُّفُوس أيضًا فيه تلتذُّ بالألحان وحُسْن الصَّوت وطيب النَّغمات.

فيُقال: هذه اللَّذَّة هي وسيلةٌ إلى وُصُول الحقِّ المحض إلى الطَّبع، فإنَّ الطِّباع جُبلت على استثقال الحقِّ وكراهيَّته؛ واستلذاذ الحُظُوظ والشَّهوات والميل إليها، فإذا امتزج بالحقِّ المحض طيب النَّغمة وحُسْن الصَّوت: التذَّت النَّفس به ونفذ الدَّواء فيها، فيكون بمثابة السُّكَّر في الأدوية النَّافعة الكريهة، تُنْفِذُها إلى قعر البدن، فلذلك الصَّوت الحَسَن وطيب النَّغمة في التِّلاوة يُوصل أدوية القُرآن النَّافعة إلى أعماق القُلُوب.

هذا في حقِّ أهل النُّفُوس الميَّالة، فأمَّا من زكت نفسه وأشرق قلبه: فهُو يلتذُّ بالقُرآن قراءة واستماعًا ومُطالعة، يتلذَّذُ به بصوتٍ حسنٍ أو بغيره؛ لأنَّه يتغذَّى[1] بمعناه لصفاء باطنه عن بقايا نفسه.

وهذا السَّماع من كمال الدِّين والإسلام، لا يتمُّ الدِّين إلَّا بالسَّماع المشروع، فالله تعالى فيه غالبٌ على أمره في كُلِّ حالٍ، لكن لمَّا بَعُد العهد بالدِّين الخالص، وتباعد زمن الرَّسول ﷺ، وانحرفت الأُمور وانقلبت الأحوال: صارت النُّفُوس المُنحرفة لا تجد ذوقها إلَّا في سماع الأبيات، ولا تجده في سماع الآيات.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (تتغذَّى).

فصلٌ

وحقَّق المُحقِّقون أنَّ ذوق السَّماع مباينٌ لذوق الصَّلاة، فكُلُّ من طَرِبَ في السَّماع الاصطلاحيِّ ووَجَد كمال ذوقه: لم يجد ذوق التِّلاوة والصَّلاة، فصاحب ذوق السَّماع غالبًا لا يجد ذوق الصَّلاة؛ لأنَّ بين الذَّوقيْن مُباينة؛ يعرفها من عرف ذوق الإسلام الخالص.

وذوق السَّماع الاصطلاحيِّ: ذوقٌ مُنحرفٌ طبيعيٌّ نفسانيٌّ؛ تتحرَّك النُّفُوس فيه بُحكم الطَّبيعة، قد يُمازجه أحيانًا شيءٌ من الحقِّ في آحاد النَّاس إذا كان قد استكنَّ في قلبه شيءٌ من المواجيد الإلٰهيَّة، ويكون ذلك الحقُّ مغمورًا بأمثاله من حظِّ النَّفس والباطل.

وذوق التِّلاوة والصَّلاة: ذوقٌ مُستقيمٌ إلهيٌّ مُحمَّديٌّ من كمال الإسلام وتمام الإيمان، فمن وجد هذا غالبًا لا يجد ذاك، إلَّا من تاب من تلك الطَّريقة السَّماعيَّة ورجع إلى الذَّوق المُحمَّديِّ، فقد يجد ذوق الصَّلاة وإن كان قد وجد ذوق السَّماع قبل ذلك.

فصلٌ

فعليكُم بالسَّماع المشروع ـ سماع الآيات ـ تكونوا فيه مُتَّبعين لنبيِّكُم مُحمَّدٍ ﷺ، مُستمعين إلى كلام ربِّكم، مُتنعِّمين به وبما تضمَّنه من وعده ووعيده، وتخويفه وتحذيره، وقصصه وأخباره ومواعظه، وأنبائه وحِكَمه، وأذواقه ومشاربه، وآدابه وأخلاقه، وفُهُومه وأنواره.

آهٍ! آهٍ! آهٍ! وأين من يذُوق هذا من القُرآن في زماننا؟! لقد عزَّ ذلك، إلَّا أفرادًا في زوايا الأرض مَخْفِيِّين، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

فصلٌ

والخُصُوص يفهمُون من القُرآن وتلوح لقُلُوبهم منه أُمورٌ[١] عاليةٌ وأنوارٌ[٢] خارقةٌ يكشف منه لقُلوبهم، وفيه تجلِّيات الصِّفات المُقدَّسة، فتمتلئ قُلُوبهم وأسرارهم بأنوار المحبَّة والعظمة والكبرياء، يرتدون[٣] فيه بأردية الهيبة، ويكتسون ملابس الأُنْس والتَّقريب، وهُم المُقرَّبون؛ وقليلٌ ما هُم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٦].

فلا يطرب على كلام الحبيب إلَّا المُحبُّون، ولا يشرب بكأس المحبَّة إلَّا الذَّائقون، ولا يكتسي ملابس القُرْب إلَّا المُقرَّبون، فإنَّه تنزيلٌ من ربِّ العالمين؛ إلٰه الأوَّلين والآخرين؛ حبيب المُحبِّين، وظهير المُلاجئين، وأرحم الرَّاحمين.

فصلٌ

معاشر العُقلاء: أين من يذوق بقلبه هذه الأذواق العالية في كلام ربِّه؛ ممَّن تطرب نفسه على أبياتٍ فيها ذكر ليلى وسُعْدَى ولُبْنَى، والخُدُود والقُدُود، والأعطاف والنُّهُود؟

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (أُمورًا).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (أنوارًا).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يتردون).
(٤) سُورة الأنعام: الآية ٣٦.
(٥) سُورة ق: الآية ٣٧.
(٦) سُورة يس: الآية ٧٠.

مثل من يُغنِّي ويقول[١]:

ما للمليحة لم تزرني أَبُخْلٌ بالمليحة أم صُدودُ

ومثل من يقول[٢]:

بكَّرت تذكرني لِجَاج العذليِّ فيها وتلطخني بطرف محجلِي
وتميس كالغُصن الرَّطيب ودُونها كفلٌ كدَعْصِ الرَّمل ضخمٌ مُمتلِي
يا هذه حتَّام هجرك والقِلَى جُودِي على دَنِفٍ بحُبِّك قد بَلِي

فأين حال من يطرب بمثل هذا؛ إلى حال من يجد لذَّة السَّماع ورُوح الحال في قول الله العظيم، أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم، بسم الله الرَّحمن الرَّحيم: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٣].

خُصوصًا إذا قرأه قارئ صحيح القصد، نافذ الفهم، حَسَن الصَّوت، خاشع النَّفس، رقيق القلب، وكان المُستمع له صحيح القصد، كامل

---

(١) حدَّث بها رجلٌ من بني تميمٍ؛ كما في «اعتلال القُلوب» للخرائطي (١/ ١٩٤)، وفيه:

أَلا مَا لِلْمَلِيحَةِ لَمْ تَعُدْنِي أَبُخْلٌ بِالْمَلِيحَةِ أَمْ صُدُودُ
مَرِضْتُ فَعَادَنِي أَهْلِي جَمِيعًا فَمَالَكِ لَمْ تُرِ فِيمَنْ يَعُودُ
فَقَدْتُكِ بَيْنَهُمْ فَبَلِيتُ شَوْقًا وَفَقْدُ الإِلْفِ يَا أَمَلِي شَدِيدُ
وَمَا اسْتَبْطَأْتُ غَيْرَكِ فَاعْلَمِيهِ وَحَوْلِي مِنْ ذَوِي رَحِمِي عَدِيدُ
وَلَوْ كُنْتِ الْمَرِيضَ لَكُنْتُ أَسْعَى إِلَيْكِ وَمَا يُهَدِّدُنِي الْوَعِيدُ

(٢) لم أقف عليه.

(٣) سُورة طه: الآيات ١ ـ ٨.

الذِّهن، ذكيَّ الفهم، هائم القلب، قد هيَّم قلبه إلى لقاء ربِّه، وطالت عليه الأيَّام واللَّيالي للبُعْد عن سيِّده، كيف ترون حاله إذا سمع كلام من يُحبُّه، ويشتاق إلى قُرْبه؟

أيستوي ذوقه وسماعه وذلك الذَّوق الأوَّل في سماع أهله؛ عبيدِ نُفُوسٍ شهوانيَّةٍ اجتمعوا ليلتذُّوا ويُنيلوا نُفُوسهم حظَّها من ذلك؟!

كلا والله؛ إنَّ بين السَّماعيْن لبونًا عظيمًا، وفرقًا ظاهرًا مُستبينًا، يعرفه من صفا عقله، وتنوَّر قلبه، واستقام بالعلم جهله، ولا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله.

فصلٌ

ومِمَّا استقرأه العُقلاء والأولياء أنَّهم لم يجدوا صادقًا تواجد في سماع الأبيات إلَّا بَعُد قلبه عند الفراغ منه وعند مُفارقة المجلس، ووَجَد قبضًا على قلبه، وذلك القبض لا يفطن له إلَّا العُلماء الأولياء.

فالعلّة في القبض عَقِيبَ السَّماع: أنَّه حيث كان ذلك السَّماع ممُتزجًا من حقٍّ وباطلٍ، وإن أخذت الرُّوح حظَّها المحمود فيه فقد شاركت النَّفس فأخذت حظَّها وراحتها، فامتزج نصيب الرَّحمن بنصيب الشَّيطان، فاختلط الأمر كاختلاط الماء الصَّافي بالماء الكدر، لكن لغلبة الصَّفاء وظُهُور وصف الرُّوح فيه: خفي أثر الكدر فيه على المُستمع، فلمَّا أفاق من سُكْره وطيبته: وجد اللَّوْث والكُدُورة في قلبه، وهُو أثر جُثُوم الشَّيطان على النَّفس.

وقد بلغنا عن بعض الصَّادقين ـ وهُو الشَّيخ الإمام عزُّ الدِّين الفاروثيُّ خطيب الجامع بدمشق رحمه الله[1] ـ: أنَّه كان إذا حضر سماعًا وتواجد فيه:

---

(١) هُو أبو العبَّاس أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ، وُلِدَ سنة أربعة عشرة وستِّمائةٍ في =

يستغفر الله تعالى عَقِيبَ السَّماع، ويُجدِّد التَّوبة، وذلك الاستغفار لما أخذت النَّفس والشَّيطان نصيبهما من ذلك السَّماع والتَّلوُّث الحاصل من الصُّورة التي لم يشرعها الله تعالى في كتابه، ولا رسوله ﷺ في سُنَّته.

فصلٌ

من وجد في سماع الأبيات ذوقًا صحيحًا إلهيًّا كان بمثابة من سُقِيَ عسلاً في إناءٍ قذرٍ نجسٍ تنبو عن الشُّرب في مثله النُّفُوس، فالصَّادق إذا وجد في سماع الأبيات ذوقًا: فلغلبة حلاوة العسل غاب الشَّارب عن قذارة الإناء، فحين الفراغ من شُربه ولذَّته عكس على نفسه أثر قذارة الإناء؛ فأحسَّ به؛ فوجد القبض لذلك.

فصلٌ

لـمَّـا تـقـادم الـعـهـد بـالـدِّيـن الأوَّل الـصَّـحـيـح ـ ديـن رسـول الله ﷺ ودين أصحابه؛ فله اليوم في سنة ثلاثٍ وسبعمائة من الهجرة ـ هذا الأمد الطَّويل، فانحرفت لبُعْد العهد عنه الأعمال، وانقلبت الأذواق؛ فصار الغالب لا يُوجد إلَّا ذوقٌ مُنحرفٌ في عملٍ مُنحرفٍ، والسَّلف رضي الله عنهم كانوا يجدون الأذواق الصَّحيحة المُتَّصلة بالله في الأعمال الصَّحيحة المشروعة في دين الله.

فافهموا ذلك معشر العُقلاء وحقِّقُوه؛ تفوزوا بالنَّظر الصَّحيح؛ أو[1] تحيُّر الأعشى وخَبْط الأعمى.

= ذي القَعدة بِوَاسِطَ، وبها تُوفِّي في أوَّل ذي الحجَّة سنة أربعٍ وتسعين وستِّمائةٍ، كما في: «المُعجم المُختصِّ بالمُحدِّثين» للذَّهبيِّ (١/ ١٠، ١١)، و«الوافي بالوفيَّات» للصَّفديِّ (٦/ ٢١٩، ٢٢٠)، و«طبقات الشَّافعيَّة الكُبرى» للسُّبكيِّ (٨/ ٦ ـ ٨).

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (أوا).

ثُمَّ لا تعدلوا عن طريقة الرَّسول ﷺ في كُلِّ شيءٍ ـ تأدَّبُوا به في أكله وشُربه ونومه وأخلاقه وآدابه وعاداته وعباداته وسائر شُؤونه، اجعلوه إمامًا يُقتدى به، كالشَّيخ في زماننا هذا الذي يتَّبعه المُريدون في كُلِّ شيءٍ، ولا ينحرفوا عنه في أدنى شيءٍ ـ: فيدخل عليكم الشَّيطان فيُنسيكم ذكر الله؛ فتقعوا في البدع والانحراف، وتحسبون أنَّكم على شيءٍ، قال الله تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[1].

وإن كان هذا في حقِّ الكُفَّار؛ فللمُنحرفين[2] عن السُّنَّة العُصاة نصيبٌ من ذلك بحسبهم، فإنَّ المعاصي دقائق الكُفر، فلا تعدلوا عن مُتابعة الرَّسول في شيءٍ.

بلغنا عن بعض السَّلف رضي الله عنهم: أنَّه ترك أكل البِطِّيخ، وقال: لم يُنقل إليَّ كيف كان رسول الله ﷺ يأكله؟!

فانظروا رحمكم الله إلى هذا السَّيِّد؛ كيف توخَّى الاقتداء بالرَّسول وحرص عليه في كُلِّ شيءٍ حتَّى في هذا الأمر الجُزئيِّ من آداب الأكل؟

فما ظنُّك فيمن ينحرف عن دين رسول الله ﷺ في مثل هذه السَّماعات المُحرَّمة والاجتماعات الفاسدة؛ من إظهار المُكاء والتَّصدية بالدُّفوف والشَّبابات[3].

---

(١) سُورة المُجادلة: الآيتان ١٨، ١٩.

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (المُنحرفين).

(٣) أي: التَّشبيب، وهُو ذكر أيَّام الشَّباب واللَّهو والغزل في ابتداء القصائد، سُمِّي بذلك: لما فيه من ذكر الشَّباب. ويُطلق التَّشبيب ويُراد به: ذكر التَّغزُّل بالنِّساء، وهو من تشبيب النَّار وتأريثها.

وقد رُوي عن رسول الله ﷺ أنَّه مرَّ بزمَّارة راعٍ فوضع أُصبعيْه في أُذنيْه[١].

والزَّمَّارة: هي التي يُسمُّونها الشُّعَيْبيَّة؛ يستعملها رُعاة الغنم.

فما ظنُّك بالبَيْت، والذين يقفون على أقدامهم نصف ليلةٍ؟ يرقصون ويزفنون على مثل[٢]:

سقاني خمرة أحيا فُؤادي بكأس الحُبِّ من بحر الوادي

ولو كُلِّف أحدهم أن يقف لله في ركعةٍ دُون هذا القيام: تسآمت نفسه؛ فما أبعد النُّفوس عن الحقِّ، وما أَمْيَلها إلى الباطل والحطِّ[٣]؟!

---

(١) أخرجه أحمد في مُسنده [الحديث رقم (٤٥٣٥) ـ (٨/ ١٣٢)]، وأبو داود في سُننه [كتاب الأدب/ باب كراهية الغناء والزَّمر ـ الحديث رقم (٤٩٢٤) ـ (ص٧٣٨)] عن نافع مولى عبدالله بن عُمر بن الخطَّاب، ولفظ أحمد: «أنَّ ابن عمر سمع صوت زَمَّارة راعٍ، فوضع أُصْبعيْه في أذنيْه، وعدل راحلتَه عن الطَّريق وهُو يقول: يا نافع، أتسمع؟ فأقول: نعم؛ فيمضي، حتَّى قُلتُ: لا؛ فوضع يديْه وأعاد راحلته إلى الطَّريق، وقال: رأيت رسول الله ﷺ ـ وسمع صوت زَمَّارة راعٍ ـ فصنع مثل هذا».

(٢) نسبه ابن المُلقِّن في «طبقات الأولياء» (ص٤٠١، ٤٠٢) إلى أبي يزيد البِسْطَاميِّ، وفيه:

غَرَسْتَ الحُبَّ غَرْسًا في فُؤادِي فلا أَسْلُو إلى يوم التَّنادِي
جَرَحْتَ القلب منِّي باتِّصالٍ فشَوْقِي زائدٌ والحُبُّ بادِي
سقاني شَرْبَة أحيا فُؤادِي بكَأْسِ الحُبِّ في بحر الوِدَادِ
فلولا الله يحفظ عارفيه لهَامَ العَارِفُونَ بكُلِّ وادِي

(٣) أي: الانحدار والوَضْع.

فصلٌ

وممَّا يقع في السَّماع من المصائب التي تُحزن كُلَّ عاقلٍ: أنَّه رُبَّما يقع في الطَّابق[١] حالة السَّماع والزَّفن والرَّقص أمردٌ جميلٌ يرقص ويتحرَّك على التَّوقيع[٢] والتَّصفيق؛ فتحمرُّ لذلك وجنتاه، ويعرق وجهه، تبرز للخلق تقاطيعه في رقصه وحركته ودورانه، فتبقى نُفُوس أهل الطَّابق مجذوبة إليه، قد أثَّر فيهم جميعهم، وصار الوقت له فامتلأت قُلوبهم بحُسْن صُورته ولُطف تركيبه، وكُلَّما غنى المُغنِّي وحرَّك الدُّفُوف ووقَّع: هاج على القُلوب عشقه ومحبَّته في حقِّ ألطف الجماعة، وفيهم من تهيج عليه بسببه الشَّهوة كُلَّما نظر إلى أردافه وأعطافه، وهُو أكثفهم وأقربهم إلى البهيميَّة، ومع ذلك فيموِّهون ويزعمون أنَّهم مع الحقِّ، وأنَّهم في وَجْد القُلوب وشوقها إلى الله، وقد انطوت نُفوسهم على مثل هذه الفضائح.

فأيُّ مُسلمٍ في قلبه مثقال ذرَّةٍ من إيمانٍ لا يستقبح هذا؟!

وقد حضرنا مثل هذا السَّماع ورأينا في حلقاتهم مثل هؤلاء الصِّبيان، ورأينا النُّفوس الميَّالة إليهم، فَاسْأَلْ[٣] به خبيرًا؛ إذ لا يُنبِّئك مثل خبيرٍ.

حتَّى بيَّن الله لنا بكرمه ورحمته من شُيوخ الهُدى: شُبهة السَّماع، وحلَّ لنا مُشكله، ورأينا الانحراف في حُضوره، والصَّواب في تركه، فضلاً منه ورحمة، فلله الحمد والشُّكر.

فمثل هذا السَّماع مُحرَّمٌ بإجماع المُسلمين؛ على من يحضره، وعلى من يُؤلِّف النَّاس إليه، وهُم ملعونون قد تعرَّضوا لمقت الله وغضبه،

---

(١) أي: الطِّبْق ـ بكسْر الطَّاء: وهُو الجماعة من النَّاس.

(٢) أي: الإيقاع، وهو ألحان الغناء، وهو أن يُوقع الألحان ويُبِينُها تَبْيِينًا.

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (فسئل).

واستباحوا ما حرَّم الله، وكيف لا؛ وقد قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾[١].

فصلٌ

ومن أقسام الفسق والفُجور في السَّماع: أن يجتمع النَّاس على سماع النِّسوان، وهُو مُحرَّمٌ بإجماع الأُمَّة؛ لم يختلف فيه أحدٌ من الأئمَّة والعُلماء، **وذلك لوجوهٍ:**

إحداها: أنَّ النَّظر إلى الأجنبيَّة مُحرَّمٌ بإجماع الأُمَّة، وكذلك الإصغاء إليها فيما تُغنِّي به، فإنَّ ذلك مُحرَّمٌ أيضًا على الأجنبيِّ سماع كلام الأجنبيَّة، فإنَّه ممَّا يُحرِّك الشَّهوة ويُثير الميْل إليها؛ لأنَّ الذَّكر يحنُّ بطبعه إلى الأُنثى، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[٣].

والإجماع على: سماع النِّسوان مُحرَّمٌ؛ ملعونٌ فاعله، ومن يجمع النَّاس عليه، ومن يبذل فيه شيئًا، ويُعين على إحفال[٤] النَّاس له، وقد تعرَّض لمقت الله وغضبه؛ لأنَّه انتهك حُرمته، وخالف أمره، ووقع فيما نهاه ربُّه عنه؛ آثر لذَّة فانية قصيرًا زمانها على عُقوبةٍ شديدةٍ ونارٍ حاميةٍ، طويلٍ أمدها.

فعلى من حضر هذا السَّماع أن يُعجِّل بالتَّوبة إلى الله والرُّجوع إليه، ويغسل سواد الوجه بهذا الذَّنب بمياه الطَّاعات وترك المُحرَّمات، فإنَّ الله توَّابٌ يقبل التَّوبة عن عباده ويعفو عن السَّيِّئات.

---

(١) سُورة النُّور: الآية ٣٠.
(٢) سُورة النُّور: الآية ٣٠.
(٣) سُورة النُّور: الآية ٣٠.
(٤) أي: اجتماع.

فصلٌ

وليس البحث في هذا الكُرَّاس في مثل هذا السَّماع، فإنَّ هذا مُجْمَعٌ[١] على تحريمه؛ لأنَّه مُقدِّماتٌ للفسق والفُجُور، وإنّما البحث مع جماعةٍ صالحين؛ اجتمعوا على قوَّالٍ[٢] صالحٍ، ووَجَد المُستمعون في ذلك ذوقًا صحيحًا، فهُم في ذلك منقوصون، قد عدلوا عن السَّماع المشروع وهُو سماع الآيات، إلى السَّماع المُنحرف المُبْتَدَع وهُو سماع الأبيات.

فمثلهم ـ كما سبق ذكره ـ كمثل من سُقِيَ عسلاً في إناءٍ قذرٍ نجسٍ، ولو شربه في إناءٍ نظيف[٣] طاهرٍ كان أشهى له وأشرح لصدره وأنفع لمرضه، وذلك هُو سماع القُرآن، فيه شفاءٌ للصُّدور، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٤].

فنسأل الله العظيم بمنِّه وكرمه: أن يجمعنا عليه، من أقرب الطُّرق إليْه، وأن يحفظنا في دينه ومنهاجه وشريعة رسوله وسُنَّته وآدابه حتَّى نلقاه بذلك؛ غير مُغيِّرين ولا مُبدِّلين، ولا مغضوبٍ علينا ولا الضَّالِّين، آمين، إنَّه أرحم الرَّاحمين.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (مجموع).
(٢) أي: كثير القول للأبيات الرَّقيقة والأشعار العذبة.
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (نضيف).
(٤) سُورة الأنعام: الآيتان ٥٧، ٥٨.

والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّدٍ وآله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدِّين، وحسبنا الله ونعم الوكيل[١].

❑❑❑

(١) كان الفراغ من تقييد التَّعليق؛ وتمام الختام من هذا التَّحقيق: في مدينة بيكان بارو، في منطقة رياو، في جزيرة سُومطرا، في جُمهوريَّة أندونيسيا، في يوم الجُمعة ٣ صفر ١٤٣٥هـ؛ الموافق ٦ ديسمبر (كانون الأوَّل) ٢٠١٣م.

لوامع الاسترشاد في الفرق بين التوحيد والاتحاد

تأليف

الإمام الزاهد الناسك، والعالم العابد السالك
عماد الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي
المعروف بابن شيخ الحزاميين
(٦٥٧ - ٧١١ هـ)

تحقيق وتعليق

الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي

ألَّفه النَّاصح لإخوانه المُؤمنين عُمومًا؛ ولطائفةٍ من الصُّوفيَّة والفُقراء خُصوصًا، فتح الله بها صمم الأسماع، ونوَّر بها البصائر والأبصار

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والإفضال والإنعام، والمواهب الجسام، والمنح العظام، الذي اصطفى من عباده ضَنَايِنَ[1] لقُربه، واختصَّ لولايته أبرارًا يشربون من خالص محبَّته بكأسه، فتح لهم أبواب المعارف والوُجدان، فغابوا بوُجوده عن الأكوان، محى بظُهور حقيقته عليهم رُسومهم، واصطلم بصفاته المُقدَّسة بقاياهم من نُفوسهم، فطهَّرهم عمَّا سواه ونقَّاهم، وتولاهم برعايته وأغناهم.

وصلواته على يَنْبُوع الهُدى، وواسطة عقد لآلئ الورى: نبيِّ الرَّحمة، وكاشف الغُمَّة؛ الذي فتح ببعثه طريق السَّير إليه، وأنار به سبيل الرَّشاد دلالة للخلق عليه وإليه؛ صلَّى الله عليه وعلى آله المُصطفين، وأصحابه المُنتجبين، صلاة دائمة بدوامه، باقية على مرِّ لياليه وأيَّامه.

وبعد:

فأيُّها النَّاظر في هذا الكتاب؛ جعلنا الله وإيَّاك ممَّن فتح فطنته لفهم الحقائق، وكُشِفَ له من خفيَّات الدَّقائق: تأمَّل بعقلك هذا الكتاب، وانظر فيه بنُور الله، وافتقر بسرِّك إلى الله.

---

(١) أي: نِفَاسٌ؛ مضنونٌ بهم لنفاستهم.

واعلم أنَّ لله عبادًا فتح لهم في الغُيوب؛ فوصلوا من معرفته إلى كُلِّ مرغوبٍ، كشف لبصائرهم الجَلْوَة عن ضدِّ الشَّهوات، وعَبَار التَّبعات[١]؛ من لطائف أفعاله، ومُقدِّمات أسمائه وصفاته، وحقائق أنوار ذاته: ما تعجز عن صفته العبارة، وتقصر دُون شرحه الإشارة.

وكيف لا؛ وقد اضمحلَّ وُجودهم في وُجوده، وانمحت آثار نباتهم في إشراقات أنواره وظُهوره، صارت منهم القُلوب عرشيَّة، والأرواح عُلويَّة، والنُّفوس روحانيَّة، أسكرهم[٢] به عن مُلاحظات وُجودهم، وجمعهم في حضرة قيوميَّته[٣] عن مُشتركات إراداتهم، فصاروا بالله، ولله، ومع الله؛

---

(١) أي: الاعتبار بما يلحقه من عواقبها.

(٢) قال ابن قيِّم الجوزيَّة في «مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين»: (٤/ ٢٠٦، ٢٠٧): (وهذا المعنى لم يُعبَّر عنه في القُرآن ولا في السُّنَّة ولا العارفون من السَّلف بالسُّكر أصلاً، وإنَّما ذلك من اصطلاح المُتأخِّرين، وهو بئس الاصطلاح، فإنَّ لفظ السُّكر والمُسكر من الألفاظ المذمومة شرعًا وعقلاً، وعامَّة ما يُستعمل في السُّكر المذموم الذي يمقته الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ [سُورة النِّساء: الآية ٤٣]. وعبَّر به سُبحانه عن الهول الشَّديد الذي يحصل للنَّاس عند قيام السَّاعة، فقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [سُورة الحجِّ: الآية ٢]. ويُقال: فلانٌ أسكره حبُّ الدُّنيا؛ وكذلك يُستعمل في سُكر الهوى المذموم. فأين أطلق الله سُبحانه أو رسوله أو الصَّحابة أو أئمَّة الطَّريق المُتقدِّمون على هذا المعنى الشَّريف ـ الذي هو من أشرف أحوال مُحبِّيه وعابديه ـ: اسم السُّكر المُستعمل في سُكر الخمر وسُكر الفواحش؟! كما قال عن قوم لُوطٍ: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [سُورة الحجر: الآية ٧٢]. فوصف بالسُّكر أرباب الفواحش وأرباب الشَّراب المُسكر، فلا يليق استعماله في أشرف الأحوال والمقامات؛ ولا سيَّما في قسم الحقائق).

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (قيموميَّته).

في تصاريفهم وأُمورهم، ظهرت عليهم أنوار الرُّبوبيَّة، فتحقَّقوا بالانطباع في قوالب العُبوديَّة، خرجوا عن ذوق نُفوسهم إلى رقِّ مولاهم بالكُليَّة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(١).

فلا تستعظم ذلك ولا تُنكره، واعلم أنَّ مواهب الله عزَّ وجلَّ أعلى من أن يعقلها العُقلاء، وكراماته الفائضة على من أحبَّه واصطفاه فوق ما يتوهَّمه الألبَّاء؛ سقاهم شرابًا من حُبِّه، وكساهم لِبْسَة من نُوره، فتحقَّقوا بالحياة الأبديَّة، والسَّعادة السَّرمديَّة؛ جعلنا الله من المُتحقِّقين بمحبَّتهم، المُقتفين آثارهم في محجَّتهم، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وهذا الخطاب للعُقلاء الألبَّاء؛ الذين ليسوا بأهل الأهواء، المُلاحظين بأهوائهم الزَّكيَّة، إلى الحقائق الصَّحيحة المعنويَّة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٢)، وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٣).

والغرض منك أيُّها الأخ الصَّادق الفطن العاقل الذَّكيُّ الرَّاجح: أن تخرج فيما تُخاطب به عن جُمود التَّقليد، وتُزيح عن صدرك التَّعصُّب والتَّعنيد، فإنَّهما يستران وجه الحقِّ، ويعدلان بمُتَّبعهما عن محجَّة الصِّدق، وصاحب الهوى لا يُبصر غير ما هُو فيه؛ لما قد استولى على قلبه منه فهُو يُعانيه، فإذا أزاح المرء الهوى عن قلبه، وافتقر إلى الله بسرِّه، ولجأ إليه بخالص الافتقار والدُّعاء، وسأل بكرمه أن يُبيِّن له طريق الحقِّ والاهتداء: استعدَّ بهذا الالتجاء؛ لينزل الهُدى على قلبه من السَّماء، وكشف ما استبهم عليه من العمى والخفاء.

---

(١) سُورة الأنفال: الآية ٤.

(٢) سُورة البقرة: الآية ٢٦٩، وسُورة آل عمران: الآية ٧.

(٣) سُورة ق: الآية ٣٧.

فإذا وُفِّقت لذلك وفعلته: فاعلم أنَّ الله تعالى بعث الأنبياء مُبشِّرين ومُنذرين، دُعاة إليه بإذنه وهادين؛ ليُخرجوا التَّائهين عن المحجَّة من ظُلمات الحيرة إلى النُّور، ويُرشدهم إلى طريق سعاداتهم ليفوزوا بالحُبور، يوم العرض والنُّشور، وكان أكملهم مُحمَّدًا[1] ﷺ الذي بعثه الله إلى الخلق بشيرًا ونذيرًا، وهاديًا إلى الله بإذنه وسراجًا مُنيرًا، ليُبيِّن للنَّاس ما نُزِّل إليهم لعلَّهم يحذرون، أرسله رحمة للعالمين؛ بشفاءٍ لما في الصُّدور وهُدى ورحمة للمُؤمنين، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2].

وذلك حين اتَّخذ الكُفَّار من دُون الله أندادًا من الشُّركاء والأمثال، والأشباه والأشكال، عبدوا من دُونه الأصنام والأحجار، والكواكب والأشجار، وما ضاهاها من المعبودات الحقار، أشركوا بالله في عبادته غيره من جمادات مخلوقاته، وأموات مبتدعاته، التي لا تسمع ولا تُبصر ولن ﴿يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[3].

فهداهم الله بمُحمَّدٍ ﷺ، وتعرَّف إليهم بنفسه، وكشف لهم في الغيب عن وجهه الكريم ليعرفوه فيعبدوه فيستعينوه، وأخبرهم بصفاته التَّامَّات، ونُعوته المُقدَّسة الكاملات، فأكمل لهم بذلك دينهم، وأتَّم عليهم نعمته في تعليمه إيّاهم شرائع أديانهم، وعقائد قُلوبهم ومعارفهم؛ ليتوصّلوا بما علَّمهم إلى سنيِّ الأحوال، في قوالب الصِّدق في الأعمال، فيكشف لهم بذلك صريح العرفان، وحقائق الإيمان، فيحمل لهم بذلك مُرادهم منهم في الأعمال والأحوال، وذلك هُو غاية الكمال في الحال والمآل،

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (مُحمَّدٍ).

(٢) سُورة يُونس: الآية ٥٨.

(٣) سُورة الحجِّ: الآيتان ٧٣، ٧٤.

وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[١].

هذه المُقدِّمة مُتَّفقٌ عليها؛ حُكمها ظاهرٌ، وبُرهانها لائحٌ، فهدى الله بهذا النَّبيِّ أُمَّته الجاهلة العمياء، حين كانوا جُفاة لا يعلمون حقًّا ولا يهتدون طريقًا، وانتدب منهم من كَمُلَ استعداده، وعلا قصده ومُراده، إلى التَّحقُّق بحقائق الشَّريعة، والوُصول إلى معالي مقامات الحقيقة، فبرز في عصره ﷺ سادات النَّاس وأفاضلهم، وخير النَّاس بعد نبيِّهم، كأبي بكرٍ وعُمر وبقيَّة العشرة، ومن حذا حذوهم، وسار في نهجهم، كأُبيِّ بن كعبٍ ومُعاذ بن جبلٍ وعبدالله بن مسعودٍ وأبي الدَّرداء وسلمان وغيرهم، ممَّن انتشر فضلهم، واشتهر بالمعرفة وصفهم، بلغوا من حقائق الشَّريعة ودقائق المعرفة ما لم يبلغه غيرهم، وتحقَّقوا من حقائق المحبَّة والمواجيد ما لم يرتق إليها من بعدهم.

وكيف يجهل العاقل ذلك، وقد شربوا من كأس الرَّسول، وارتضعوا من لبانه، واقتبسوا من نُوره، وامتلأوا من مواجيده؟

يعلم العُقلاء بالضَّرورة أنَّهم كانوا أعمق النَّاس عُلومًا، وأعلى الخلق أحوالاً، وأحقَّ النَّاس بالمعرفة تحقُّقًا، وأكثر النَّاس بالأحوال تقمُّصًا، من الزُّهد والتَّوكُّل والرِّضا والحُبِّ والشَّوق والفناء والبقاء؛ لكنَّهم لقُوَّة إيمانهم وعُلوِّ مراتبهم[٢]: لم يظهر عليهم آثار السُّكارى بالأحوال، بل قووا بنُور النُّبوَّة حتَّى صرفوا الأحوال في الأعمال، فجاهدوا في سبيل الله بالسُّموِّ العوال، وذلك هُو غاية الكمال.

ولا تعجب؛ العجب من صاحٍ سكران، فإنَّ الموهبة الإلٰهيَّة الفائضة على

---

(١) سُورة المائدة: الآية ٣.

(٢) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (مطلبٌ: لكنَّهم لقُوَّة إيمانهم).

الشَّمائل المُحمَّديَّة السَّارية فيه إلى خواصِّ أصحابه أعطتهم القُوَّة والتَّمكين، والفرق في الجمع والصَّحو في السُّكر؛ يُعلم ذلك ضرورة من لوائح أحوالهم، ودقائق كلماتهم، وقُوَّتهم في ذات الله، وجهادهم لأعداء الله، وخالص محبَّتهم لله، فلا يُقاس بأحوالهم أحوال غيرهم، ممَّن باح بوجده، وباح بسرِّه، وضاق عن كتمان مواجيده، حتَّى غنَّى وطرب وعربد حين يشرب[١]، وقد سُقي قطرة من كُؤوس الصَّحابة، فأظهر النَّشاة[٢] والكآبة.

فصلَّى الله على ينبوع الهُدى والحقائق وعيْن معينها، ورضي الله عن الصَّحابة البررة الكرام وأرضاهم، وألحقنا بهم، ولا عدل بنا عن طريقهم، وعصمنا من الزَّيغ عن سُنَّتهم ونهجهم، إنَّه الجواد الكريم.

وكان من قضاء الله وقدره أن خلفت من بعدهم خُلوفٌ عُمومٌ وخُصوصٌ، فالعُموم أضاعوا الصَّلوات واتَّبعوا الشَّهوات.

والخُصوص منهم من أضاعوا الأُصول، وجنحوا إلى الفُضول، فانحرفت لذلك النّتائج، وكُلَّما تطاول الزَّمان نقصت الأعمال، وضعفت الأحوال؛ حتَّى آل الأمر إلى فساد العقائد، والضَّلال في المصادر والموارد، حتَّى حدث في السِّتِّمائة قومٌ تمادى بهم الأمر في إضاعة الأُصول، والانحراف عن السُّلوك والوُصول، فظهروا إلى الحقائق بغريبٍ من الكلام، في إشاراتٍ دقيقةٍ، وعباراتٍ عميقةٍ، لا تهتدي العُقول إليها إلَّا بعد تكلُّفٍ، ولا تفقهها القُلوب إلَّا بعد تفرُّقٍ وتألُّفٍ، والقُلوب تُحبُّ علم ما لا تعرفه، وتستحلي حلَّ ما تستشكله؛ فطارت تلك التُّرَّهات في البُلدان، وانحلَّ بها كثيرٌ من أهل الملل والأديان.

---

(١) أي: يشرب من كأس المحبَّة والوجد.

(٢) أي: النَّشا، وهي حِدَّةُ الرَّائحة؛ طيِّبة كانت أو خبيثة.

حاصلها: المُبالغة في التَّوحيد، حتَّى وصفوا الكائنات بوحدة الوُجود، فصاروا بذلك في طرفٍ يُقابل الطَّرف الذي مال إليه المُشركون الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ، فإنَّهم بالغوا في الشِّرك بالله حتَّى اتخذوا الأنداد من دُون الله، وهؤلاء بالغوا في التَّوحيد حتَّى جعلوا ما اتَّخذه المُشركون من دُون الله ـ بل جميع الأكوان ـ مظهرًا[1] ظهر الحقُّ فيها بحقيقته، وتجلَّى بوُجوده وأنيَّته، فوقعوا في حقيقة الإشراك، أشركوا بالله مع كُلِّ شيءٍ، حيث جعلوه عين كُلِّ شيءٍ، فهُو سُبحانه ـ على زعمهم الكاذب وتحريفهم الباطل ـ عين هذا الوُجود، لا وُجود لشيءٍ سواه، وكُلُّ شيءٍ من الكائنات ـ على زعمهم ـ لا وُجود له، وإنَّما الوُجود للحقِّ، فعين وُجود خالق الأشياء ـ على زعمهم ـ هُو عين وُجود الأشياء المخلوقات، تعالى الله عمَّا يقوله الظَّالمون، وتنزَّه الله عمَّا ينتحله المُبطلون.

فانظر رحمك الله إلى ثلاثة أشياء:

كيف كان الدِّين مُنحرفًا أولاً في زمان الجاهليَّة الجهلاء؟!

وكيف قوَّم الإسلام ذلك حتَّى وحَّدوا الله بما وحَّد به نفسه وأخلصوا العبادة له حتَّى لم يتَّخذوا له ندًّا؟!

وكيف آل الأمر إلى هذا الانحراف في الآخر حتَّى خرج إلى هذه الغاية المذكورة بحيث صار ذلك طرفًا أقصى، وهذا طرفًا أقصى، والحقُّ واضحٌ لائحٌ بينهما؟!

فمن رزقه الله تعالى فهمًا وعقلاً وفطرة سليمة وذكاء صحيحًا وقلبًا أشرق فيه نُور الإيمان، ونظر إلى الأمر في ابتدائه ثُمَّ في توسُّطه ثُمَّ في انتهائه، وعلم الانحراف أولاً، والاستقامة وسطًا، والانحلال آخرًا،

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (مظهر).

كُلُّ ذلك كما أخبر ﷺ: «**لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم، حذو القُذَّة بالقُذَّة، حتَّى لو دخلوا جُحر ضبٍّ لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله، آليهودَ والنَّصارى؟ قال: فمن؟**»[1].

كما أنَّ اليهود اتَّخذوا عُزيرًا ابن الله، والنَّصارى اتَّخذوا المسيح ابن الله، وهذه الأُمَّة وقع فيها ما لم يبلغنا عن أهل الكتاب من أنَّهم اتَّخذوا كُلَّ شيءٍ إلهًا هُو عين الله، حتّى إنَّ نُفوسهم تُحدِّثهم أنَّ حقيقة أحدهم هُو الله.

وكان هذا الحدث في رأس السِّتُمائة، بقواعد يُقرِّرونها، وطامَّاتٍ يُزخرفونها، إذا تأمَّلها العاقل الفطن: وجدهم يُحرِّفون الكلم عن مواضعه، فيجعلون ما ذمَّ الله به الكُفَّار مدحًا باعتبارٍ، ويجعلون النَّار جنَّة باعتبارٍ، والعذاب عُذوبة باعتبارٍ، ويجعلون اللَّعنة والغضب قُرْبًا باعتبارٍ، وما حلَّ بالكُفَّار من الدَّمار والهلاك وُصولاً باعتبارٍ، وكُلُّ ذلك أنَّ عين وُجود جميع المخلوقات هُو عين وُجود الخالق؛ وُجودها ووُجوده واحدٌ؛ يقلبون حقائق المعاني، ويحرِّفون الكلم عن مواضعه، كما حرَّفته الباطنيَّة والقرامطة، تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا.

---

(١) أخرجه البُخاريُّ في صحيحه [كتاب أحاديث الأنبياء/ باب ما ذُكر عن بني إسرائيل ـ الحديث رقم (٣٤٥٦) ـ (٢/ ١٠٧٤، ١٠٧٥)]، ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب العلم/ باب اتِّباع سنن اليهود والنَّصارى ـ الحديث رقم (٢٦٦٩) ـ (٤/ ٢٠٥٤)] عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه، ولفظ مُسلم: «**لتتبعنَّ سنن الذين من قبلكم، شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراعٍ، حتَّى لو دخلوا في جُحر ضبٍّ لاتَّبعتموهم. قُلنا: يا رسول الله؛ آليهود والنَّصارى؟ قال: فمن**»، وأخرجه أحمد في مُسنده [الحديث رقم (١٧١٣٥) (٢٨/ ٣٥٩)] من حديث شدَّاد بن أوسٍ رضي الله عنه بلفظ: «**ليَحْمِلَنَّ شرار هذه الأُمَّة على سنن الذين خلوا من قبلهم أهل الكتاب؛ حذو القُذَّة بالقُذَّة**».

ووجدنا الغالب على مُسلمي مذهبهم: إمّا ناقص العقل مُحبط الخيال، أو عاقلٌ فطنٌ لبيبٌ يُحبُّ الانسلاخ عن ثقل الشَّرائع بالانحلال، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

واعلم أيُّها الأخ الفطن اللَّبيب العاقل المُسترشد، الذي يطلب الحقَّ وينتحله، فتح الله سمع قلبك وبصره، وأراك الله وإيَّانا الحقَّ حقًّا وأعانك على اتِّباعه، وأراك وإيَّانا الباطل باطلاً ووفَّقنا لاجتنابه: أنَّ هذه الطَّامَّات التي يذكرونها إنَّما تُرَوَّجُ على غرٍّ جاهلٍ بعظم التَّوحيد بحُسن الظَّنِّ منه، ويشتاق إلى الحقائق ولم يذق منها شيئًا، ولم يُباشر قلبه من صفوها ذوقًا بعظم هذا الفنِّ، وينظر إليه من مكانٍ بعيدٍ، فيُحبُّه ويتعصَّب لأهله، ويُرَوَّجُ عنده ما يُزخرفونه لقُصوره عن درك الحقائق.

وأمَّا من فتح الله قلبه لمُشاهدة أنوار القيُّوميَّة[2]، وألاح لسرِّه نصيبًا من توحيده وخالص تفريده بأوَّل بارقةٍ من ذلك: يعرف خفايا انحراف ما يُشيرون إليْه، ويُنادون بزُخرف القول عليْه.

فإن كُنت أيُّها الأخ تشتاق إلى شيءٍ من تلك الحقائق الإيمانيَّة، والأذواق العرفانيَّة: فاجعل نفسك كأنَّك في زمن الجاهليَّة، وارحل إلى رسول الله ﷺ لتلقاه، فتُؤمن به وتُسلم على يديْه، ورحلتك إليه ولقاؤك له: مُطالعتك سيرته، وما ورد عنه من سُننه وسيرته، وسيرة أصحابه وخاصَّته.

ثُمّ تأمل كتاب الله، وافهمه عن الله: يُسْمِعْكَ ما يُعرَّف إليك به من أسمائه وصفاته الواردة في التَّنزيل على خير الخلق، وعلى أصحابه الذين هُم صفوة هذه الأُمَّة.

---

(١) سُورة الأعراف: الآية ٣٣.

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (القيموميَّة).

وكُلٌّ من جاء بعدهم: فمن بقايا رضاعهم يرضعون، وعليهم في الحقائق يتطفَّلون، كأنَّ لهم شرابٌ يشربوه، وبقيت منه قطراتٌ تلمَّظ بها من بعدهم، لا تشكَّ في هذا فتكون من المُكابرين للعلم الضَّروريِّ القائم في ذهن كُلِّ مُبصرٍ واصلٍ لبيبٍ عاقلٍ.

فإنَّك إذا وُفِّقت وفعلت ذلك، واهتديْت بهدي الله، وفتح الله بين قلبك وبين معرفته طاقة تذوق منها نصيبًا من خالص توحيده، وصادق تفريده، ويُقذف في قلبك منها نصيبٌ من توحيد سلفك أصحاب نبيِّك؛ تُغيِّبك عن بقاياك وكُدوراتك، فتبقى حينئذٍ بالله تسمع، وبه تُبصر، وبه تنطق، ويبقى الحقُّ مشهودك في كُلِّ حالٍ، وفي كُلِّ موطنٍ، يتولاك برعايته، فلا ترى غير فعله، ولا يسكن قلبك غيرُ نوره، ولا تبتهج إلَّا بأذواق صفاته، وأنت في حضرة النَّبيِّ ﷺ لا تُفارقه وبين أصحابه تمدُّك أنفاسهم، وإن كانوا أمواتًا فهُم في الحقيقة عند الله لمن فتح قلبه لهدايتهم أحياءٌ.

فحينئذٍ تعلم أنَّ هؤلاء المغرورين لم يعرفوا الله من تلك الطَّاقة المُحمَّديَّة التي عرفها، ولا ساروا إليه منها إلَّا بما حدَّثتهم نُفوسهم، وقام في خيالاتهم[1] وأذهانهم، الذي هُو نتيجة العقل الفاسد، أو طلب الانحلال من ثقل الشَّرائع والعقائد، من وحدة الوُجود، وجعلهم الوُجود واحدًا.

وقول هذه المقالة: أن يكون وُجود الأشياء هُو عين وُجود خالقها؛ فاض وُجود خالقها عليها، فأكسبها وُجودًا منه، فوُجودها هُو عين وُجوده.

ومن فهَّمه الله هذه المَخْرَقَة، وحقَّق له فهم حقيقة هذه الخُزَعْبِلَة، وعرف ما يُشيرون إليه من مراتب الكثرة، وما يُشيرون إليه من مرتبة الوحدة، وكيف يسوقون الأشياء بزُخرف القول عن مراتب الكثرة إلى مرتبة الوحدة،

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (خيلاتهم).

حتَّى يردُّونها إلى عين الجمع، ويجعلون معنى عين الجمع هُو مشاهدة كون الحقِّ عين الأشياء: عرف أنَّ هذه الطَّامَّات إنْ تلتبس على غرٍّ، حيث يجدهم يُشيرون إلى عين الجمع.

وقد أشار مُحقِّقوا الصُّوفيَّة إلى عين الجمع، وتجدوهم يُشيرون إلى أنَّ الحقَّ هُو عين الأشياء.

وفي عقائد المُسلمين: أنَّ الأشياء لا تقوم بذواتها، إنَّما تقوم بالله، فيتوهَّم المُتوهِّم أنَّ مقصودهم بقولهم: إنَّ الحقَّ هُو عين الأشياء ما يقوله[١] المُسلمون من كون الأشياء كُلِّها لا تقوم إلَّا بالله[٢]، وما ذاك إلَّا لاستعمالهم عباراتِ صُوفيَّةِ أهل الإسلام، ومن حقَّق علم المذهبيْن: عرف الطَّريقيْن، وعرف مأخذ[٣] الفريقيْن.

والمقصود: أن يقف فهمك على تحقيق انحرافهم في طرفٍ يُقابل للطَّرف الذي انحرف به المُشركون ـ كما تقدَّم ذكره ـ.

فإذا تبيَّن ذلك عندك: عرفت أنَّ طريقة الحقِّ هي الطَّريقة الوُسطى بين من جعل لله شريكًا وأندادًا من الأحجار والأشجار؛ وبين من وحَّد الله حتَّى جعل عين وُجود عين الأحجار والأشجار هُو عين وُجود الحقِّ.

وطريقة أهل الحقِّ: أن يُطلب معرفة الله من حيث تعرَّف به إلى عباده من كتابه وسُنَّة رسوله، من ذكر أسمائه وصفاته وبدائع أفعاله وعظمة ذاته، ومن كونه ذاتًا مُنفردًا بنفسه، له وُجودٌ قديمٌ يتميَّز به عن غيره من الموجودات، وله حقيقةٌ يتميَّز بها عن غيره، وهُو سُبحانه فوق سبع سماواته

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (تقوله).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (الأشياء لها إلَّا بالله).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (ما اخذ).

على عرشه، وجميع خلقه لها وُجودٌ مُحدثٌ مخلوقٌ في مُلكه وقبضته، قائمون بقدرته، يتحرَّكون بمشيئته، ويبطشون بإرادته، هكذا تعرَّف الله إلينا في كتابه المُنزَّل على لسان رسوله المُرسل إلينا.

يجب علينا معشر العُقلاء: أن لا نتجاوز التَّوحيد الذي شرعه لنا، ولا نطلب المعرفة إلَّا من الطَّريق التي فتحها لنا، ولا نَشْرَه[1] في طلب التَّوحيد، فنتَّخذ كُلَّ شيءٍ إلهًا مُبالغة في توحيده، فنجعله عين كُلِّ شيءٍ باعتبار أن لا وُجود إلَّا له، فنقع في الانحلال والتَّهاون بفرائض الحرام والحلال، ونخرق بذلك سياج الشَّريعة، ونتعدَّى هدي من سبقنا من أصحاب نبيِّنا وشُيوخ طائفتنا، كسهلٍ والسَّريِّ والجُنيد وعمرو بن عُثمان وأبي سعيدٍ الخرَّاز وابن عطاءٍ وطبقاتهم، فنبتدع في دين الله ما لم يأذن به الله، فنزيغ بذلك ونضلَّ ضلالاً بعيدًا، ونبتعد عن المطلوب والمأمول، من حيث نُؤمِّل الوُصول.

وهذا المذهب فيما علمنا منه أنَّه ما من مُسلمٍ أو يهوديٍّ أو نصرانيٍّ أو رافضيٍّ دخل فيه إلَّا انحلَّ من دينه انحلالاً كبيرًا، واستراح من ثقل التَّكاليف ظاهرًا، وإن أقامها بظاهره فهُو مُستريحٌ منها باطنًا، فإنَّه يجد الإلٰه هُو الكُلُّ، فمن العابد ومن المعبود؟! ومن الشَّاهد ومن المشهود؟! كما قال قائلهم[2]:

جمالك في كُلِّ الحقائق سافرٌ ... وليس له إلَّا جلالك ساترٌ

تجلَّيت للأكوان خلف سُتورها ... فنمَّت بما ضمنت عليه السَّتائر

---

(١) أي: يغلبنا الحرص.

(٢) لم أقف عليه.

ونرجو إن شاء الله أن يكون في هذا القدر كفايةٌ وهدايةٌ لمن أراد الله تبصُّره وإرشاده، والعاقل الفطن يستدلُّ بالقليل على الكثير، وبالأواخر على الأوائل، وبالغايات على المبادئ.

ونسأل الله الكريم أن يهدينا سبيل السَّلام، ويُخرجنا من الظَّلمات إلى النُّور، ويهدينا إلى الفَرْق بين التَّوحيد والاتِّحاد؛ إنَّه قريبٌ مُجيبٌ.

والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّدٍ وآله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا[1].

❑❑❑

(١) كان الفراغ من تقييد التَّعليق، وتمام الختام من هذا التَّحقيق: في مدينة كيغالي، عاصمة جُمهوريَّة رواندا، في شرق القارَّة الأفريقيَّة، في يوم الجُمعة ١٦ ربيع الأوَّل ١٤٣٥هـ؛ الموافق ١٧ يناير (كانون الثَّاني) ٢٠١٤م.

كتاب فيه لمعة من أشعة النصوص في هتك أستار الفصوص

تأليف

الإمام الزاهد الناسك، والعالم العابد السالك
عماد الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم الواسطيّ
المعروف بابن شيخ الحزّاميّين
(٦٥٧ - ٧١١ هـ)

تحقيق وتعليق

الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العليّ

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

الحمد لله الذي نوَّر بصائر المُهتدين بأنوار معرفته، وعصمهم من الزَّيغ والضَّلال[٢] عن طريقه ومحجَّته، ووفَّقهم لاتِّباع طُرق[٣] أنبيائه وأهل رسالته، وجعلهم مُتَّبعين لما أنزل عليهم من فُرقانه وإبانته، وحماهم عن قلب الحقائق المعنويَّة والصُّوريَّة بالأغاليط المُتوهَّمة الظَّنِّيَّة من كُلِّ ماشٍ مُكبٍّ[٤] على وجهه[٥]، وعاقب من اتَّخذ إلهه هواه[٦] في سَيْره وسيرته، وأضلَّه على علمٍ وختم على سمعه وقلبه[٧] وبصيرته، يتعثَّر[٨] في آبار المهالك والمعاطب من عماوته وحيرته.

وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له المُنفرد بذاته وفردانيَّته عن جميع مخلوقاته وبريَّته، الذي اتَّصف بالصِّفات وتسمَّى بالأسماء في قدمه وأزليَّته.

---

(١) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (الانحراف).

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (طريق).

(٤) في كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن: (مُكبًّا).

(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (وجهته).

(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (وهواه).

(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (وختم على قلبه).

(٨) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (يتغيَّر).

وأشهد أنَّ مُحمَّدًا صلَّى الله عليه عبده[١] ورسوله الذي بعثه إلى الخلق برحمته وهدايته، صلَّى الله عليه وعلى آله أهل وُدِّه وولايته.

وبعد:

فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٣].

فقد حرَّم علينا أن نقول عليه سُبحانه ما[٤] لا نعلم، كما رضي لنا أن نمشي سويًّا[٥] على صراطٍ مُستقيمٍ.

ولا ريب أنَّ الله تعالى قد جعل للأشياء حُدودًا يتميَّز بها[٦] بعضها عن بعضٍ، فالخلق محدودٌ ومربوبٌ[٧]، يتصرَّف فيه البارئ تعالى بقُدرته وإرادته ومشيئته، ليس الخَلْق بعضًا من أبعاضه، ولا صفة من صفاته، ولا هُو عيْنٌ، هُو[٨] سُبحانه ذاتٌ مُنفردٌ بنفسه، قديمٌ[٩] بائنٌ عن جميع خلقه بذاته

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم عبده).
(٢) سُورة الأعراف: الآية ٣٣، في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ الآية).
(٣) سُورة الملك: الآية ٢٢.
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (بما).
(٥) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت).
(٦) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).
(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (محدودٌ مربوبٌ).
(٨) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (من صفاته ولا هي عن أسمائه بل هُو).
(٩) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت).

وصفاته وأسمائه[١] ووجوده، فجميع الحركات والسَّكنات في الخَلْق صادرة عن مشيئته، وليس هُو المُتحرِّك فيها، بل هُو المُحرِّك لها، وليس وُجودها وُجوده، بل لها وُجودٌ مُحْدَثٌ مُفتقرٌ إلى مُوجِده، كما أنَّ للمُوجِد سُبحانه وُجودًا آخر غير وُجودها قائمًا[٢] به كما يليق برُبوبيَّته، وللمخلوق وُجودٌ قائمٌ به مُفتقرٌ كما يليق بعُبوديَّته.

فمن جعل الوُجود وُجودًا واحدًا ساريًا في كُلِّ ماهيةٍ من الحقِّ والخَلْق: فقد ضلَّ واعتدى، ومن زعم أنَّ الخلق إنَّما يمتاز عن الحقِّ بحيثيَّة[٣] ما اقتضاه استعداده من قبول الفيض فقط ـ حيث كان في العدم ثابتًا مُتعدِّدًا مُتنوِّعًا ـ فقد زاغ عن المحجَّة الصَّحيحة والنَّهج السَّويِّ، قاتل الله القائلين بهذه المقالة فأنَّى يُؤفكون.

والسَّبب المُوجب لتسطير[٤] هذه الأحرف: هُو ما وقر في القُلوب من تُرَّهات ابن عربيٍّ[٥]، حيث صار لها شأنٌ[٦] في قُلوب السَّالكين، وخطرٌ[٧] عند المُبتدئين من الطَّالبين، وما ذاك إلَّا لقُصور فهمهم عن مقاصده، وعجز بصائرهم عن مُلاحظة إلحاده في شقاشقه[٨]، فاستخرت الله تعالى بتعليق كلماتٍ تكون إن شاء الله كشفًا لسِتْر مقالته، وتنبيهًا على إلحاده وضلالته،

---

(١) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (قائمٌ).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (لحيثيَّة).
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (لسطر).
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (العربيِّ).
(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (شأنًا).
(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (خطرًا).
(٨) أي: حُسْن مخارجه.

ممَّا نقلته من كلامه في[١] «فُصوص الحكم» نقل المسطرة، لتزول[٢] عن الكاشف لستره كُلُّ تُهمةٍ، وليزن العاقل مقالته على ما دلَّ عليه دين الرَّسول ﷺ، فبِوَزْنِه[٣] بالدِّين النَّاقد البصير يظهر له زيغه[٤] وانحرافه وتهوُّكه وعثاره[٥].

ولعمري لا يقدر على هذا الوزن إلَّا من حقَّق الدِّين ونفذ فيه ذوقًا ورُسوخًا، فالمُشار إليه راسخٌ في زَنْدَقَتِه، ضائعٌ في سياقة ما يُلقيه من كُفريَّات لَقْلَقَتِه[٦]، لاحتوائه على فُنُونٍ كثيرةٍ من العُلوم الشَّرعيَّة والرِّياضيَّة والفلسفيَّة[٧]، فعبارته في ذلك عذبةٌ غريبةٌ، ومقاصده فيها غامضةٌ لا يفطن لها إلَّا كُلُّ نقَّادٍ يعرف غوره في مقالته وتراتيبه.

فصلٌ

جميع ما يُبديه في مُصنَّفاته من الكلام الحقِّ النَّافع هُو ربطٌ واستجلابٌ لقُلوب الطَّلبة، كما يُشير إليه في «الفتوحات» و«المُحكم المربوط» وغيرهما[٨]، فإنَّ الدَّاعي إلى البدعة لا يُستجاب له إن لم يكن ذا بصيرةٍ بالدَّعوة، يَرْفُق في دعوته ويستدرج الخلق فيها بلطيف الاستدراج، بحيث ينقلهم من مرتبةٍ في عُقولهم إلى مرتبةٍ أُخرى أعلى منها، بحيث تكون تلك

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (عن).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (ليزول بذلك).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (فيزنه).
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (زيفه).
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (عناده).
(٦) أي: لسانه.
(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (الرِّياضيَّة الفلسفيَّة).
(٨) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (غيرها).

المرتبة الأُولى ثابتة في العُقول، فتسكن العُقُول[١] في ذلك أوَّلاً، ثُمَّ يُدقِّق العبارة فتشتاق القُلوب إلى حلِّ ذلك أوَّلاً، ثُمَّ تشتاق إلى ذوقه ثانيًا، فلا تذوقه إلَّا وقد انحلَّت عنها الشَّرائع والأديان، وصار الكُلُّ واحدًا، فمَن العابد ومَن المعبود؟! ومَن الشَّاهد ومَن المشهود؟! كما أنشد[٢]:

إنْ قُلتَ عبدٌ فذاك ميتٌ أو قُلتَ ربٌّ أنَّى[٣] يُكلَّف

فصلٌ

نبدأ أولاً بعون الله تعالى في حلِّ قاعدة[٤] مذهبه قبل نقل كلامه، لتتَّضح القاعدة أوَّلاً في ذهن العاقل، ثُمَّ يتفصَّل عليها جميع ما ننقله[٥] من كلامه.

ويُستفاد من ذلك: أنَّ جميع ما يقوله في كُتبه[٦] ـ وإن اختلفت عباراتها وتنوَّعت أنحاؤها وإشاراتها نظمًا ونثرًا ـ فهُو مسألةٌ واحدةٌ، وهي حقيقة القاعدة الآتي ذكرها، فهُو يقول ويقول[٧]، ثُمَّ يحطُّ عليها فلا يتجاوزها.

فمتى فهمها العارف: عرف جميع ما يقوله في مجموع كلامه ومُتفرِّقه، إن شاء الله تعالى.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (فيسكن إليه).

(٢) قال ابن عربي في مُقدِّمة «الفُتوحات المكيَّة» (١/ ٢): «ولمَّا حيَّرتني هذه الحقيقة: أنشدت على حِكَم الطَّريقة للخليقة:

الرَّبُّ حقٌّ والعبد حقٌّ يا ليْت شِعْرِي من المُكلَّفْ»

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (فأنَّى).

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (نبدأ بعون الله عزَّ وجلَّ في قاعدة).

(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (ما ننقل عنه).

(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (جميع كُتبه).

(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (ونقول).

فصلٌ

قاعدة هذا الرَّجل في اعتقاده وكشفه الباطل ـ الذي هُو[١] عند العُلماء والعُقلاء خيالٌ لا حقيقة له، ووهمٌ فاسدٌ توهَّمه وبنى على ذلك الوهم أُصوله ودلائله ـ: هُو أن يجعل المعدوم شيئًا، ويجعل الماهيَّات بأسرها من جميع ما عُلِم من الأكوان عُلويِّها وسُفليِّها في عدمها أشياء[٢] ثابتة في أنفسها لكن ليس لها وُجودٌ، فأفاض الحقُّ تعالى عليها وُجوده الذَّاتيَّ فقبلت[٣] الوُجود بحسب استعدادها، فظهرت بعين وُجود الحقِّ الذَّاتيِّ، فكان هُو الظَّاهر فيها بحُكم الوُجود، وكانت هي الظَّاهرة فيه بحُكم الأسماء لتنوُّعها وتعدُّدها، ويجعل النِّسب التي[٤] بين الذَّوات والوُجود هي أسماء الله تعالى، لولاها[٥] لم يكن لله تعالى اسمٌ[٦]، فإنَّ الوُجود لمَّا فاض على الماهيَّات الثَّابتة عنده قبلت كُلَّ ماهيَّةٍ من الوُجُود بحسب[٧] استعدادها، مثلاً كان المرزوق والمُنتقَم منه[٨] والمرحوم ثابتًا في العدم، فلمَّا فاض عليهم الوُجود الذَّاتيُّ ظهر المرزوق مرزوقًا، والمُنتقَم منه مُنتقَمًا[٩] منه[١٠]، والمرحوم مرحومًا،

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (الباطل هُو).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (وسُفليِّها أشياء).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (فقلبت).
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (السبب الذي).
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (لولا).
(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (لم يكن الله اسمٌ).
(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (ماهيَّةٍ بحسب).
(٨) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).
(٩) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (مُنتقمٌ).
(١٠) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).

والجميل جميلاً، فقبلت[١] كُلَّ ماهيَّةٍ بحسب ما اقتضاه استعدادها من ذلك الوُجود المُطلق، فظهر بذلك الاسم الرَّازق والرَّحيم والمُنتقِم، ولولا فيض هذا الوُجود لم يكن لله[٢] تعالى اسمٌ أصلاً، فإنَّه كان شيئًا مُطلقًا لا وُجود له، يتعيَّن هذا على قواعده واصطلاحه في توهُّماته.

ومذهب المسلمين: أنَّ الله تعالى لم تزل[٣] أسماؤه قديمة موجودة، كما لم تزل ذاته المُقدَّسة قديمة موجودة، لم يتجدَّد له بما أحدث من مخلوقاته شيءٌ لم يكن له في قدمه.

وهذا الكلام الذي انتحله هذا الرَّجل يقتضي[٤] أنَّ الله تعالى كان لا وُجود له في الظَّاهر، كان وُجوده وُجودًا مُطلقًا، لا يُوصف بصفةٍ ولا يُسمَّى باسمٍ، فأراد أن يُعرِّف نفسه بنفسه، فتجلَّى بُوجوده على الماهيَّات فرأى نفسه فيها، فحينئذٍ عرف نفسه فكانت هي مرآته رأى[٥] نفسه فيها، كما قال التِّلمسانيُّ[٦]:

رأيت نفسك فينا وهي واحدةٌ كثيرةٌ ذات أسماءٍ وأوصافِ

فلمَّا رأى نفسه ظهرت للأسماء[٧] باعتبار النِّسب التي بين الماهيَّات والوُجود الفائض، فلَّما أفاض عين وُجوده على الماهيَّات بذلك صار

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (فقلبت).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (الله).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (يزل).
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (يقتصي).
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (نفسه وكانت من مرائيه رأى).
(٦) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت).
(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (الأسماء).

موجودًا[١] في الظَّاهر، فظهرت الوحدة في الكثرة مُتكرِّرة فيها لا مُتعدِّدة؛ لأنَّها وحدةٌ[٢] كتكرُّر الإنسانيَّة في الأشخاص المُتعدِّدة وهي إنسانيَّةٌ واحدةٌ، فهُو الموجود في الكثرة لا موجود غيره والكُلُّ هُو، هُو الظَّاهر الذي ظهر بوُجوده في بريَّته، وكُلُّ موجودٍ له نسبةٌ في[٣] وُجود الحقِّ لمَّا قبله استعداده، فتلك النِّسبة هي عين أسمائه وصفاته، فصار الحقُّ عنده كالإنسانيَّة المُطلقة السَّارية في كُلِّ شخصٍ بلا تكرارٍ[٤]، وكُلُّ واحدٍ إنسانٌ، وبهذه الأشخاص ظهرت الإنسانيَّة في الخارج، ولولاهم كانت شيئًا ثابتًا في الذِّهن مُطلقة لا حقيقة لها في الخارج مُتعيِّنة، فكذلك الرَّبُّ عنده كان شيئًا مُطلقًا لا ظُهور له فأفاض وُجوده على الأكوان كفيض الإنسانيَّة على جنس الإنسان، فظهر بذلك وُجُود الحقِّ في الخارج كما ظهرت الإنسانيَّة في الخارج[٥]، لتعلُّقها بالأشخاص المُتعيِّنين.

فإلى الله تعالى الشَّكوى ممَّا أَنْحَلَتْه[٦] هذه الطَّائفة المُبطلة التي قلبت الحقائق، وشعَّبت على ضُعفاء[٧] هذه الأُمَّة عُقولها، ومزَّقت الرُّبوبيَّة كُلَّ مُمزَّق، وقلبت صُورة الشَّريعة ومسختها، فاستهلك الإيمان والإسلام في صُور ما انتحلوه كاستهلاك الإنسانيَّة في القرد الممسوخ، مسخهم الله كما مسخوا دينه، وقلَّبهم في النَّار كما قلبوا شريعته، وبالله المُستعان.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (صار هُو موجودًا).
(٢) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (من).
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (بالتَّكرار).
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (كفيض الإنسانيَّة على جنس الإنسان، فظهر بذلك وُجُود الحقِّ في الخارج كما ظهرت الإنسانيَّة في الخارج).
(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (أَنْحَلَتْه).
(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (ضعف).

فمذهب هذا الرَّجل: أنّ الأعيان كانت ثابتة في العدم[١]، فهي غذاؤه بالأحكام، يعني يتغذَّى بها الحقُّ لظُهور أحكام أسمائه فيها، وذلك يقتضي افتقاره إليها؛ لأنَّ من يتغذَّى بالشّيء كان مُفتقرًا إليه، ولذلك أفاض عليها وُجوده ليظهر فيها بأسمائه ووُجوده؛ إذ لولاها لم يظهر في الخارج[٢] وُجوده ولا أسماؤه فصارت غذاء له، وكذلك عنده هُو غذاء لها أيضًا بالوُجود؛ لأنَّ بوُجوده ظهرت؛ إذ لولا وُجوده الفائض عليها منه[٣] لكانت عدمًا في حال ثُبوتها في عدمها، فلمَّا فاض وُجوده الذَّاتيُّ عليها ظهرت به، فهي غذاؤه بالأحكام، وهُو غذاؤها بالوُجود.

زيادة بيانٍ وإيضاحٍ لمذهبه: العبيد[٤] على اصطلاحه يتصرَّفون في ربِّهم لما قبلوه من الوُجود بحسب استعدادهم، والرَّبُّ[٥] تعالى عنده ليس له اختيارٌ في مقادير استعداد كُلِّ موجودٍ فيما قبله من الوُجود، لكن له اختيارٌ في إفاضة الوُجود عليه، فلمّا أفاض الوُجود عليه تصرَّف الموجود في الوُجود ـ وهُو الله ـ بحسب ما اقتضاه استعداده.

يدلُّ على ذلك ما يأتي ذكره من كلامه إن شاء الله تعالى، وكذلك عنده أنَّ الرَّبَّ تعالى كما تصرَّفوا هُم[٦] فيه يتصرَّف هُو أيضًا فيهم في إفاضة وُجوده عليهم فقط لا غير ذلك.

---

(١) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت).
(٢) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت).
(٣) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت).
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (البعيد).
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (فالرَّبُّ).
(٦) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).

فكان الحاصل من مجموع هذه المقالة[١] [٢]: أنَّ الرَّبَّ تعالى ـ على زعمه ـ كان وحدة مُطلقة، لا يرى نفسه ولا يعرف إيَّاه، ولا يُوصف باسم ولا صفةٍ حتَّى رأى نفسه بتجلِّيه في الماهيَّات، فكانت كالمرآة[٣] له رأىً وُجوده فيها، ولزم من ذلك ظُهور الأسماء، ومن قبل كان لا اسم له ولا صفة بل شيئًا مُطلقًا؛ لأنّ الأسماء والصِّفات[٤] هي من لوازم الظُّهور والوُجود وتعلُّق الوُجود بالموجودات، فباعتبار تعلُّق كُلِّ موجودٍ بالموجود يكون للموجود اسمٌ[٥]، فلمّا أراد الله سُبحانه أن يكون له ظُهورٌ أفاض وُجوده على الماهيَّات الثَّابتة في العدم فظهر بوُجوده، وكان[٦] هُو الظّاهر من حيث وُجوده، وكانت الماهيَّات هي الظّاهرة من حيث أسمائه.

فصلٌ

فمن وفَّقه الله تعالى وفهم هذه القاعدة، وحقَّقها في ذهنه الصَّحيح وعقله الرَّاجح، ونوّر الله قلبه بنُور الإسلام، فعرف أنَّ هذا وهمٌ فاسدٌ وخيالٌ باطلٌ في زُخرفٍ من القول وزُوره، لما دلَّ عليه الكتاب والسُّنّة من قِدَم البارئ تعالى بذاته المُقدَّسة وجميع أسمائه وصفاته، وكان[٧] موجودًا بوُجودٍ قديمٍ يختصُّ به، يعلم نفسه ويرى وُجوده، وأنَّ وُجود الأكوان ليس هُو عينَ وُجوده، بل هُو وُجودٌ مُحْدَثٌ لم يُفِض عليه من

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (المحالة).
(٢) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (مطلبٌ: فكان الحاصل).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (المرآة).
(٤) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (اسمًا بحسبه).
(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (فكان).
(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (وصفاته من كونه وكان).

وُجود[١] الحقِّ شيءٌ؛ لأنَّ وُجود الحقِّ لا يفيض على مخلوقٍ، هُو[٢] وُجودٌ قائمٌ به سُبحانه لا ينتقل إلى غيره ولا يحلُّ في سواه، وهُو سُبحانه يمدُّ الأكوان بهذا الوُجود المُحدث الذي يليق بالأكوان، وهُو خَلْقٌ من خلقه لا من فيْضه[٣] الذَّاتيِّ يزيد[٤] إمداده، فيكون كما قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٥].

وليس عيْن ذلك الذي يمدُّه من الوُجود عيْن وُجوده[٦] سُبحانه وتعالى، لم يحدث له بإظهار[٧] الكون اسمٌ لم يكن له في قدمه، ولا صفةٌ لم[٨] يُوصف بها في أزله، فظُهُور[٩] الأكوان ووُجودها لم يزدد به سُبحانه وتعالى[١٠] مثقال ذرَّةٍ من اسمٍ ولا صفةٍ، كما أنَّه لو لم يُظهرها لم ينتقص[١١] بذلك ولم تخف[١٢] أسماؤه ولا صفاته، تعالى الله عمَّا يقول الظَّالمون والجاحدون عُلُوًّا كبيرًا.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (من ذات وُجُود).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (وهو).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (فيْض وُجُوده).
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (يُريد).
(٥) سُورة النَّحل: الآية ٤٠.
(٦) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت).
(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (لإظهار).
(٨) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت).
(٩) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (بظُهُور).
(١٠) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).
(١١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (ينتقص).
(١٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (يخف).

وها نحن إن شاء الله تعالى ننقل من كلامه نقل المسطرة بلا زيادةٍ ولا نُقصانٍ، لنستدلَّ[١] بذلك على صحَّة ما بيَّنا من مذهبه، ليتفطَّن له العُقلاء السَّالكون[٢]، والنُّبلاء الطَّالبون، ونُفرِّق[٣] بين ما يقوله هُو وبين ما نُفسِّره من كلامه بفاصلٍ يتميَّز به[٤] عنه إن شاء الله تعالى.

قال في الكلمة الآدميَّة ـ ساق الكلام في آدم عليه السَّلام[٥] إلى أن قال ـ: «فسمَّى هذا المذكور إنسانًا وخليفة، فأمَّا إنسانيَّته فلعُموم نشأته وحصره الحقائق كُلَّها»[٦].

قوله: «لعُموم نشأته وحصره الحقائق»، يعني به: أنَّ آدم هُو العالم الأصغر، قد جمع وحوى جميع ما في العالم الأكبر.

ثُمَّ قال: «وهُو للحقِّ تعالى بمنزلة إنسان[٧] العيْن من العيْن الذي به يكون النَّظر، وهُو المُعبَّر عنه بالبصر، فلهذا سُمِّي[٨] إنسانًا»[٩].

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (يُستدل).
(٢) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (ونُفرِّقه).
(٤) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).
(٥) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).
(٦) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٤٩، ٥٠).
(٧) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٨) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (يُسمَّى)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٩) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٥٠).

يقول: إنَّه إنَّما سُمِّي إنسانًا لأنَّه عيْن[١] الحقِّ، بمثابة إنسان العين، وكفى بهذا كُفرًا وزندقة[٢] لمن نظر وأنصف[٣].

ثُمَّ قال: «فإنّه به نظر الحقُّ تعالى إلى خلقه فرحمهم، فهُو الإنسان الحادث الأزليُّ، والنشء الدَّائم الأبديُّ»[٤].

قوله: «به نظر الحقُّ[٥] إلى خلقه»، أي: أكسبهم الوُجود بسببه، «فهُو الإنسان الحادث» بصُورته «الأزليُّ»، لأنَّه كان ثابتًا في العدم، «والنَّشء الدَّائم الأبديُّ»، لأنَّه صار بالوُجود الدَّائم الأبديِّ.

وقال في الكلمة الشِّيثيَّة: «ومن هؤلاء من يعلم أنَّ علم الله به في جميع أحواله هُو ما كان عليه في حال ثُبوت عينه قبل وُجودها، ويعلم أنَّ الحقَّ لا يُعطيه إلَّا ما أعطاه عينه من العلم به، وهُو ما كان عليه في حال ثُبوته، فيعلم علم الله من أين حصل؟ وما ثمَّ صنفٌ من أهل الله أعلى وأكشف من هذا الصِّنف، فهُم الواقفون على سرِّ القدر»[٦].

وهذا الذي قاله يقتضي أنَّ قومًا[٧] يعلمون علم الله بهم من أين حصل، فيُطابق علمهم علم الحقِّ بهم من جميع الوُجوه، وهذا لم يثبت في الشَّرع أنَّه حصل للأنبياء؛ لأنَّهم ما كانوا يعلمون من علم الله إلَّا ما علَّمهم الله،

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (من).
(٢) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (واتصف).
(٤) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٥٠).
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (الحقُّ تعالى)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٦) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٦٠).
(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (أنَّ ثَمَّ قومًا).

وما خفي عنهم منه[١] أكثر ممَّا علموه.

فكيف يدَّعي مُدَّعٍ أنْ يكون[٢] في الأُمَّة من يعلم علم الله به[٣] من أين حصل؟! وهذا هُو الضَّلال المُبين.

قال: «ثُمّ[٤] نرجع إلى الأُعطيات فنقول[٥]: إنَّ الأُعطيات إمَّا ذاتيَّة، وإمَّا أسمائيَّة، فأمَّا المنح والهبات والعطايا الذَّاتيَّة فلا تكون أبدًا إلَّا عن تجلٍّ[٦] إلٰهيٍّ، والتَّجلِّي من الذَّات لا يكون أبدًا إلَّا بصُورة استعداد المُتجلَّى له، وغير ذلك لا يكون، فإذًا المُتجلَّى له ما رأى سوى صُورته في مرآة الحقِّ، ولا رأى الحقَّ ولا يُمكن أن يراه مع علمه أنَّه ما رأى صُورته إلَّا فيه»[٧].

معناه في قوله: «فإذًا المُتجلَّى له ما رأى سوى صُورته في مرآة الحقِّ»، فإنَّه بفيْض الوُجُود رأى نفسه، ولولا فيْض الوُجود ما رأى نفسه.

وقوله: «ولا رأى الحقَّ»، أي: أنَّه مُطلقٌ شائعٌ، والمُطلق لا يُرى حقيقة إلَّا مُتعيِّنًا، فلذلك[٨] قال: «ولا يُمكن أن يراه مع علمه»، بأنَّه ما رأى

---

(١) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).

(٢) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).

(٣) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت).

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (ثُمَّ قال)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٥) في كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن: (يرجع إلى الأُعطيات فيقول)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٦) في كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن: (تجلِّي)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٧) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٦١).

(٨) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (فكذلك).

وُجود نفسه الثَّابتة في العدم إلَّا بوُجود الحقِّ الفائض عليه، فكان الوُجود[١] مرآةً رأى نفسه فيها.

ثُمَّ ساق الكلام إلى أن قال: «فهُو مرآتك في رُؤيتك نفسك، وأنت مرآته في رُؤيته أسماءه وظُهور أحكامها»[٢].

ثُمَّ قال: «ولست سوى عينه، فاختلط الأمر وانبهم[٣]، فمنَّا من جهل في علمه فقال: والعجز عن درك الإدراك إدراك[٤]»[٥].

أقول: وهذا ضربه في الصِّدِّيق رضي الله عنه، فإنَّه نقل عنه أنَّه قال: «العجز عن درك الإدراك إدراك».

قال: «ومنَّا من علم فلم يقل مثل هذا، وهُو أعلى القول، بل أعطاه العلمُ السُّكوتَ»[٦].

معاشر العُقلاء: تدبَّروا هذا الكلام، وتدبَّروا محضه[٧]، قال: «فهُو مرآتك في رُؤيتك[٨] نفسك».

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (وُجُود).
(٢) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٦٢).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (وأُبهم)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٤) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٥) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٦٢).
(٦) المصدر السابق، نفسه.
(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (وتدبَّروا محظه).
(٨) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (رُؤية)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

هل تفهموا ما معناه؟ معناه أنَّه لمَّا فاض وُجوده الذاتيُّ[١] عليك كان[٢] كالمرآة فيه، رأيت ثُبوتك في عدمك موجودًا، فكان وُجود الحقِّ مرآتك رأيت فيه نفسك.

ثُمَّ قال: «وأنت مرآته في رُؤيته أسماءه[٣] وظُهور أحكامها». معناه: لولاك ما ظهرت أسماؤه، فأنت مرآة له في ظُهور أسمائه، كما هُو مرآتك في ظُهور نفسك.

وهذا نصٌّ صريحٌ في القاعدة التي قرَّرناها أوَّلاً من مذهبه مُطابقة لها لمن فهمه وعقل زندقته.

ثُمَّ قال: «وليس هذا العلم إلَّا لخاتم الرُّسل وخاتم الأولياء، وما يراه أحدٌ من الأنبياء والرُّسل إلَّا من مشكاة الرَّسول الخاتم، ولا يراه أحدٌ من الأولياء إلَّا من مشكاة الوليِّ الخاتم، حتَّى إنَّ الرُّسل لا يرونه ـ متى رأوه ـ إلَّا من مشكاة خاتم الأولياء، فإنَّ الرِّسالة والنُّبوَّة ـ أعني نُبوَّة التَّشريع ورسالته ـ تنقطعان[٤]، والولاية لا تنقطع أبدًا، فالمُرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلَّا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف من دُونهم من الأولياء، وإن كان خاتم الأولياء تابعًا في الحُكم لما جاء به خاتم[٥] الرُّسل

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (الذي).

(٢) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت).

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (رُؤية أسمائه)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (ينقطعان)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٥) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

من التَّشريع[١]، فذلك[٢] لا يقدح في مقامه، فإنَّه من وجهٍ يكون أنزل، كما أنَّه من وجهٍ يكون أعلى، وقد ظهر في ظاهر شرعنا ما يُؤيِّد ما ذهبنا إليه: في فضل عُمر في أُسارى بدرٍ بالحُكم فيهم، وفي تأبير النَّخل، فما يلزم الكامل أن يكون له التَّقدُّم في كُلِّ شيءٍ»[٣].

هل تفهموا معاشر العُقلاء ما يقول هذا الضَّالُّ؟ جعل الرُّسل والأنبياء لا يرون العلم بالله إلَّا من مشكاة خاتم الأولياء، فهذا عنده مُحمَّدٌ ﷺ[٤] ومُوسى وعيسى عليهما السَّلام[٥] لا يرون العلم بالله إلَّا من مشكاة خاتم الأولياء الآتي في آخر الزَّمان، ليت شعري بأيِّ حُجَّةٍ أم بأيِّ دليلٍ؟! أم[٦] بأيِّ آيةٍ أم بأيِّ خبرٍ أم بأيِّ معقولٍ؟!

ثُمَّ انظروا[٧] إلى حُجّته في قصَّة[٨] عُمر بن الخطَّاب[٩]، وكونه ﷺ مرَّ

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (الشَّرائع)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (فكذلك)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٣) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٦٢، ٦٣).

(٤) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).

(٥) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).

(٦) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).

(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (نظروا).

(٨) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (قضيَّة).

(٩) أخرج أحمد في مُسنده [الحديث رقم (٢٠٨) ـ ١/ ٣٣٤ ـ ٣٣٦]، وأبوداود في سُننه [كتاب الجهاد/ باب في فداء الأسير بالمال ـ الحديث رقم (٢٦٩٠) ـ (ص٤٠٨)] عن عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، ولفظ أحمد: «فلمَّا أن كان من =

على قومٍ يُلقِّحون النَّخل فقال: «**لو تركتم هذا لصَلَح، فتركوه فصار شيصًا، فقال لهم: أنتم أعلم بأمر دُنياكم، وأنا أعلم بأمر دينكم**»[١] أو كما قال.

فإنِّي لن أكذب على الله معاشر العُقلاء: فهل في قضيَّة عُمر حُجَّة على ما قال؟ هل كان رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم يرى العلم بالله من مشكاة عُمر؟ ولو فرضناه في قضيَّةٍ مخصوصةٍ، هل يلزم من ذلك أن يكون جميع الأنبياء والرُّسل يرون العلم بالله جميعه من مشكاة خاتم الأولياء؟

وهل في قضيَّة التَّأبير دلالةٌ على أنَّه ﷺ وجد العلم بالله من مشكاة أهل النَّخل؟ نعم الرّسول ﷺ بعثه الله بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله ولم[٢] يبعثه بالفِلاحة والتّأبير والزِّراعة، فكون أنَّ القوم كانوا أعلم بأمر دُنياهم: هل في ذلك دلالة على أنَّ جميع الأنبياء والرُّسل يرون العلم بالله[٣] من مشكاة خاتم الأولياء؟

= **الغد قال عُمر: غدوت إلى النَّبيِّ ﷺ فإذا هُو قاعدٌ وأبو بكرٍ وإذا هُما يبكيان، فقُلت: يا رسول الله؛ أخبرني ماذا يُبكيك أنت وصاحبك فإن وجدت بُكاء بكيت وإن لم أجد بُكاء تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا. قال: فقال النَّبيُّ ﷺ: الذي عرض عليَّ أصحابك من الفداء لقد عُرض عليَّ عذابكم أدنى من هذه الشَّجرة ـ لشجرة قريبة ـ، وأنـزل الله عـزَّ وجـلَّ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ إلَـى ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ﴾. من الفداء ثُمَّ أُحلَّ لهُم الغنائم».**

(١) أخرجه مُسلمٌ في صحيحه [كتاب الفضائل/ باب وُجوب امتثال ما قاله شرعًا دُون ما ذكره ﷺ من معايش الدُّنيا على سبيل الرَّأي ـ الحديث رقم (٢٣٦٣) ـ (٤/ ١٨٣٦)] عن عائشة وأنس بن مالكٍ رضي الله عنهما، ولفظه: «**أنَّ النَّبيَّ ﷺ مرَّ بقوم يُلقِّحون، فقال: لو لم تفعلوا لصَلُح قال: فخرج شِيصًا، فمرَّ بهم فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قُلت كذا وكذا؛ قال: أنتم أعلم بأمر دُنياكم**».

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (إليه لم).

(٣) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت).

تعقَّلوا رحمكم الله ما يقول هذا الضَّالُّ، واستدلُّوا على بعض كلامه ببعضٍ: تفهموا انحلاله، بل تعرفوا خَبْطَه وتعثُّره[١] في وهمه وخياله، وأنَّه وإن كان مُلتزمًا لشيءٍ من الشَّريعة في مقالة، فإنَّ ذلك ربْطٌ للقُلوب[٢] واستدراجٌ لها، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[٣].

ثُمَّ انظروا رحمكم الله كيف قلب الحقائق وأعيانها في الكلمة النُّوحيَّة؟![٤] فقال: «لو أنَّ نُوحًا جمع لقومه بين الدَّعوتيْن لأجابوه، فدعاهم جهارًا ثُمَّ دعاهم إسرارًا، ثُمَّ قال لهم: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[٥].

وذكر عن قومه أنَّهم تصاموا[٦] عن دعوته لعلمهم بما يجب عليهم من إجابة[٧] دعوته، فعَلِمَ العُلماء بالله ما أشار إليه نوحٌ عليه السَّلام في حقِّ قومه من الثَّناء عليهم بلسان الذَّمِّ، وعَلِمَ أنَّهم لم يُجيبوا دعوته لما فيها من الفُرقان[٨]، والأمر قُرآن[٩] لا فُرقان، ومن أُقيم في القُرآن لا يُصغي إلى

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (وتغيُّر).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (ربْطٌ يربط به القُلُوب).
(٣) سُورة النُّور: الآية ٤٠.
(٤) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (مطلبٌ: في ادِّعاء ابن عربي الضَّالِّ).
(٥) سُورة نُوح: الآية ١٠.
(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (تصاموا)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (بإجابة)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٨) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (القُرآن)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٩) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (فسران)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

الفُرقان وإن كان فيه، فإنَّ القُرآن يتضمَّن الفُرقان، والفُرقان لا يتضمَّن القُرآن، ولهذا ما اختصَّ بالقُرآن إلَّا مُحمَّدٌ[١] ﷺ وهذه الأُمَّة التي هي خير أُمَّةٍ أُخرجت للنَّاس، فليس[٢] كمثله شيءٌ، فجمع الأمر في أمرٍ واحدٍ، فلو أنَّ نُوحًا يأتي بمثل هذه الآية لفظًا أجابوه[٣]، فإنَّه شبَّه ونزَّه في آيةٍ واحدةٍ، ونُوحٌ عليه السَّلام دعا قومه ليلاً من حيث عُقولهم وروحانيَّتهم، فإنَّها غيبٌ، ونهارًا دعاهم أيضًا من حيث ظاهر صُورهم وحسِّهم[٤]، وما جمع في الدَّعوة مثل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٥]، فنفرت بواطنهم لهذا الفُرقان، فزادهم فرارًا.

ثُمَّ قال عن نفسه إذ دعاهم[٦] ليغفر لهم لا ليكشف[٧] لهم، وفهموا ذلك منه، لذلك ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾[٨].

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (القُرآن إلَّا بمُحمَّدٍ)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (في قوله ليس)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (لأجابوه)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (وجسمهم)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٥) سُورة الشُّورى: الآية ١١.

(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (نفسه دعاهُم)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (يكشف)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٨) سُورة نُوحٍ: الآية ٧.

وهذه كُلُّها صُورة السِّتر التي دعاهم إليها فأجابوا دعوته بالفعل لا بلبَّيْك، ففي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[١] إثبات المثل ونفيه.

وقال عن نفسه ﷺ إنَّه أُوتي جوامع الكلم، فما دعا مُحمَّد قومه ليلاً ونهارًا، بل دعاهم ليلاً في نهارٍ، ونهارًا في ليلٍ، فقال نوحٌ في حكمته لقومه: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[٢]، وهي المعارف العقليَّة في المعاني والنَّظر الاعتباريِّ، ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ﴾[٣]، أي: بما يميل بكم إليه، فإذا مال بكم إليه رأيتم صُورتكم فيه، فمن تخيَّل منكم أنَّه رآه فما عرف، ومن عرف منكم أنَّه رأى نفسه فهُو العارف»[٤].

ثُمَّ ساق الكلام إلى أن قال: «فقالوا في مكرهم: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[٥]، فإنَّهم إذا تركوهم جهلوا من الحقِّ على قدر ما تركوا من هؤلاء، فإنَّ للحقِّ في كُلِّ معبودٍ وجهًا يعرفه من عرفه، ويجهله من جهله في المُحمَّديِّين، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[٦]. أي: حَكَم، فالعالِم يعلم مَنْ عُبِدَ؟ وفي أيِّ صُورةٍ ظهر حتَّى عُبِدَ؟[٧] وأنَّ التَّفريق والكثرة كالأعضاء[٨] في الصُّورة

---

(١) سُورة الشُّورى: الآية ١١.
(٢) سُورة نُوحٍ: الآية ١١.
(٣) سُورة نُوحٍ: الآية ١١.
(٤) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٧٠، ٧١).
(٥) سُورة نُوحٍ: الآية ٢٣.
(٦) سُورة الإسراء: الآية ٢٣.
(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (صُورةٍ عُبِدَ)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٨) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (في الأعضاء)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

المحسوسة[١]، وكالقوى المعنويَّة في الصُّورة الرَّوحانيَّة، فما عُبِدَ غير الله في كُلِّ معبودٍ، فالأدنى من تخيَّل فيه الأُلوهيَّة، فلولا هذا التَّخيُّل ما عُبِدَ الحجر ولا غيره»[٢].

ثُمَّ ساق الكلام إلى أن قال: «والأعلى العالِم يقول: إنَّما إلٰهكم ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ﴾[٣] حيث ظهر»[٤].

فقوله: «ما عُبِدَ غير الله في كُلِّ معبودٍ»، أي: أنَّ عُبَّاد الأصنام كان فيهم خاصَّةٌ وعامَّةٌ، عارفون[٥] ومحجوبون، فالعامَّة المحجوبون تخيَّلوا أنَّ في الأصنام أُلوهيَّة[٦]، وأمَّا العُلماء العارفون[٧] من عُبَّاد الأصنام يقول العارف منهم: إنَّما إلٰهكم ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ﴾[٨]، حيث ظهر أسلم للصَّنم وعَبَدَه، حيث ظهر[٩] الحقُّ فيه بوُجوده الفائض عليه.

افهموا رُموزه، تعقلوا عنه.

ثُمَّ قال: «﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾[١٠]، الذين خَبَتْ نار طبيعتهم فقالوا:

---

(١) في كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن: (الأعضاء المحسوسة)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٢) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٧٢).

(٣) سُورة الحجِّ: الآية ٣٤.

(٤) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٧٢).

(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (وعامَّةٌ وعامَّةٌ عارفون).

(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (أُلوهة).

(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (والعارفون).

(٨) سُورة الحجِّ: الآية ٣٤.

(٩) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت).

(١٠) سُورة الحجِّ: الآية ٣٤.

إلهًا، ولم يقولوا: طبيعة؛ ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾[١]؛ أي: حيَّروهم في تعداد الواحد بالوُجوه والنِّسب، ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢] لأنفسهم المُصطفيْن الذين أُورثوا الكتاب أوَّل الثَّلاثة، فقدَّمه[٣] على المُقتصد والسَّابق، ﴿إِلَّا ضَلَٰلًا﴾[٤] حيرة المُحمَّديِّ: زدني فيك تحيُّرًا»[٥].

ثُمَّ ساق الكلام والتَّخليط إلى أن قال: «﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾[٦]، فهي التي خَطَت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله، وهُو الحيْرة[٧] بالله، ﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾[٨] في عين الماء، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾[٩]، فكان الله عين أنصارهم، فهلكوا فيه إلى الأبد، فلو أخرجهم[١٠] إلى السِّيف[١١] ـ سِيف الطَّبيعة ـ لنزل بهم عن هذه الدَّرجة، وإن كان الكُلُّ لله وبالله، بل هُو الله»[١٢].

---

(١) سُورة نُوح: الآية ٢٤.
(٢) سُورة نُوح: الآية ٢٤.
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (أُوتوا الكتاب فقدَّمه)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٤) سُورة نُوح: الآية ٢٤.
(٥) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٧٢، ٧٣).
(٦) سُورة نُوح: الآية ٢٥.
(٧) في كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن: (العلم)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٨) سُورة نُوح: الآية ٢٥.
(٩) سُورة نُوح: الآية ٢٥.
(١٠) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (أُخرجوا)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(١١) أي: ساحل البحر.
(١٢) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٧٣).

ثُمَّ ساق الكلام والخَبْط إلى أن قال: «﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ﴾[١] أي تدعهم وتتركهم ﴿يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾[٢]، أي[٣]: يُحيِّروهم ويُخرجوهم من العُبوديَّة إلى ما فيهم من أسرار الرُّبوبيَّة، فينظرون أنفسهم أربابًا بعد ما كانوا عند أنفسهم عبيدًا، فهُم العبيد الأرباب»[٤].

انظروا معاشر العُقلاء رحمكم الله في هذا الكلام في الكلمة النُّوحيَّة، وما يلزم منها في قوله في حقِّ نُوحٍ عليه السَّلام أنَّه حيَّرهم[٥] حيث دعاهم ليلاً ونهارًا، وكان الواجب أن يدعوهم ليلاً في نهارٍ ونهارًا في ليلٍ.

ومن قوله: «فإذا مال بكم إليه رأيتم صُورتكُم[٦] فيه»[٧].

ومن قوله: «فالعالِم[٨] يعلم من عُبِدَ، وفي أيِّ صُورةٍ ظهر حتَّى عُبِدَ، وأنَّ التّفريق والكثرة كالأعضاء في الصُّورة المحسوسة، وكالقوى المعنويَّة في الصُّورة الرَّوحانيَّة، فما عُبد غير الله في كُلِّ معبودٍ»[٩].

---

(١) سُورة نُوحٍ: الآية ٢٧.
(٢) سُورة نُوحٍ: الآية ٢٧.
(٣) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٤) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٧٤).
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (خيرهم).
(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (صُورته)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٧) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٧١).
(٨) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (والعالِم)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٩) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٧٢).

ثُمَّ ذكر الأدنى يقول كذا، والأعلى يقول: «إنَّما إلٰهكم ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۚ﴾[١] حيث ظهر»[٢].

وقوله: «أي: حيَّروهم في تعداد الواحد بالوُجوه والنِّسب»[٣].

فقد جعل الكون تفرقة[٤] من وحدة الحقِّ، كالأعضاء في الصُّورة المحسوسة، وكالقوى المعنويَّة في الصُّورة الرَّوحانيَّة، يُفسِّر ذلك قوله: «حيَّرُوهم في تعداد الواحد بالوُجوه والنِّسب»، أي: أنَّ الأمر هُو شيءٌ واحدٌ، لكنَّه مُتعدِّد بالوُجوه والنِّسب والإضافات الأسمائيَّة التي لزمت من ظُهور الذَّوات الثَّابتة في العدم لفيْض[٥] الوُجود عليها.

وعلَّل قول الكُفَّار من قوم نوحٍ في قولهم: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا﴾[٦]؛ أنَّهم إذا تركوهم[٧] جهلوا من الحقِّ على قدر ما تركوا، فإنَّ للحقِّ في كُلِّ معبودٍ وجهًا[٨]، فأقام عُذرهم في عبادتهم الأصنام، ومهَّد لهم دينهم ودين كُلِّ من عَبَدَ وثنًا أو صنمًا وغير ذلك[٩]، فما ألقى هذا الكُفَّار عيبًا[١٠] في قولهم: نعبدهم ليُقرِّبونا إلى الله زُلفى.

---

(١) سُورة الحجِّ: الآية ٣٤.
(٢) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٧٢).
(٣) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٧٢).
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (وتفرقته).
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (الثَّابتة لفيْض).
(٦) سُورة نُوحٍ: الآية ٢٣.
(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (تركوا).
(٨) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت).
(٩) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).
(١٠) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).

وجميع ذلك يُقرِّر ما نبَّهنا عليه أوَّلاً من بيان قاعدته في مذهبه، لمن عقله أو فهم مُراده، وبالله المُستعان.

وُجملة ما يُشير إليه هُو أنَّ وُجود الحقِّ الذَّاتيِّ سارٍ في كُلِّ مُتعيِّنٍ قبل منه كُلُّ مُتعيِّنٍ على قدره وحدِّه، أعطى كُلَّ شيءٍ حسب ما يُناسبه[١]، كالماء يكون[٢] في الأواني الزُّجاج المُتلوِّنة، فإنَّه يكون الماء في الأحمر أحمر، وفي الأخضر أخضر، وفي الأسود أسود، والماء شيءٌ واحدٌ، لكنَّه يكون في كُلِّ آنيةٍ بحسب ما يستعدُّه، وتلك النِّسبة الموجودة في الماء إلى الأواني من[٣] حُمرته وصُفرته وخُضرته وسواده هي أسماء الماء، كذلك لمَّا فاض وُجود الحقِّ على الماهيَّات صار الوُجود في كُلِّ ماهيَّةٍ بحسب ما تستعدُّه تلك الماهيَّة إنسانًا وجملاً وفرسًا وحمارًا وقطًّا وفأرًا وكلبًا وخنزيرًا وقردًا ونجاسة، والوُجود وحدة مُطلقة، فلمَّا فاض المُطلق على الماهيَّات قبلت منه بحسب ما تستعدُّه كُلُّ ماهيَّةٍ[٤]، وذلك هُو ظُهور الحقِّ المُطلق المُغيَّب إلى الوُجود في عالم الحسِّ، وتلك النِّسب المُتعدِّدة ـ بحسب[٥] اختلاف استعداد الماهيَّات ـ هي أسماء الحقِّ، لولاها لم يكن للوُجود المُطلق اسمٌ، فظهرت الموجودات في الحقِّ كما كانت في عدمها ثابتة لم تنتقل ولم تتغيَّر، بل هي الآن كما كانت فيه علمًا وثُبُوتًا، فهي الآن فيه وُجُودًا وهُو الجامع لها، يدلُّ عليه قوله: «وأنَّ التَّفريق والكثرة كالأعضاء في الصُّورة المحسوسة، وكالقوى المعنويَّة في الصُّورة الرَّوحانيَّة، فما عُبِدَ غير الله في كُلِّ معبودٍ».

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (يناسب).
(٢) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (النِّسب الموجودة من).
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (ماهيَّته).
(٥) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).

ومثالٌ آخر[١] ـ نُكرِّر الكلام ونُكثر الأمثلة لتظهر هذه الشُّبهة التي قد فُتن بها كثيرٌ من السَّالكين، واغترَّ بها كثيرٌ من الجاهلين ـ: أوعيةٌ مُختلفة الأشكال، مثل مُثلّثةٌ ومُربَّعةٌ ومخمَّسةٌ ومُسدَّسةٌ ومُسبَّعةٌ ومُثمَّنةٌ مثلاً فأفاض[٢] عليها ماء، فإنَّ الماء يتشكَّل على شكل كُلِّ إناءٍ، يكون في المُثلَّث مُثلَّثًا، وفي المُربَّع مُربَّعًا، وهلُمَّ جرًّا، وهذا المثل إنَّما يستقيم من حيثيَّة الاستعداد الكائن في الأشكال المُختلفة لا من حيثيَّة الوُجود، فإنَّ من حيثيَّة الوُجود سببًا[٣] لظهور الأشكال التي هي محلٌّ للوُجود؛ لأنَّها كانت ثابتة في العدم، والوُجود هُو الذي أظهرها بفيضه عليها، لكن نقول من حيثيَّة استعداد كُلِّ محلٍّ فكذلك عنده وُجود الحقِّ لمَّا فاض على الماهيَّات تشكَّلت كُلُّ ماهيَّة بوُجودها بحسب استعدادها وقبولها منه[٤].

فافهموا ذلك معاشر الألباب تنحلُّ عنكم شُبهة هؤلاء الزَّنادقة القرامطة، الذين مذهبهم هذا المذهب الخبيث، وهُو[٥] عيْن مذهب النُّصيريَّة والإسماعيليَّة، لكن تختلف فيه العبارات والإشارات، والمقصود شيءٌ واحدٌ، وبالله المُستعان.

وكذلك يقول ابن سبعين في بعض تصانيفه[٦]: يظهر في الماء بلونه، وفي النَّار بلونها؛ ويشير إلى أنَّ الوُجود يظهر في كُلِّ ماهيَّةٍ بلونها، فإلى الله

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (لم يكن للوُجود المُطلق اسمٌ مثال آخر).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (أفاض).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (سبب)، وفي النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (إلَّا من حيثيَّة الوُجود بسببٍ).
(٤) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت).
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (الخبيث هُو).
(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (مُصنَّفاته).

الشَّكوى من ضلال هؤلاء وإضلالهم، ولقد أضلَّ منهم جِبلًّا كثيرًا فلم يكونوا يعقلون[١].

وقال في الكلمة الإدريسيَّة ـ زادنا الله بصيرة في قلبه للحقائق ـ قال: «كذلك الخُلفاء من النَّاس لو كان عُلُوُّهم بالخلافة عُلُوًّا ذاتيًّا: لكان لكُلِّ إنسانٍ، فلمَّا لم يعمَّ عرفنا أنَّ ذلك العُلُوَّ للمكانة، ومن أسمائه الحُسنى: العليُّ، على مَنْ؟؟ وما ثَمَّ[٢] إلَّا هُو!! فهُو العليُّ لذاته، أو عن ماذا؟؟ وما هُو إلَّا هُو!! فعُلوُّه لنفسه، وهُو من حيث الوُجود عين الموجودات، فالمُسمَّى مُحدثاتٌ هي العليَّة لذاتها، وليست إلَّا هُو، فهُو العليُّ لا عُلُوَّ إضافةٍ؛ لأنَّ الأعيان التي لها العدم الثَّابتة فيه ما شمَّت رائحة الموجود[٣]، فهي على حالها مع تعداد الصُّور في الموجودات، والعين واحدةٌ من المجموع في المجموع، فوُجود الكثرة في الأسماء ـ وهي النِّسب ـ وهي أُمورٌ عدميَّةٌ وليس إلَّا العين الذي هُو الذَّات، فهُو العليُّ لنفسه لا بالإضافة، فما في العالَم من هذه الحيثيَّة عُلُوُّ إضافةٍ لكن الوُجوه الوُجوديَّة مُتفاضلةٌ[٤]، فعُلُوُّ الإضافة موجودٌ في العين الواحدة من حيث الوُجوه الكثيرة»[٥].

افهموا معاشر العُقلاء ما يقول، قال: «عليٌّ على مَنْ؟؟ وما ثَمَّ

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (تكونوا تعقلون).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (وثمَّ).

(٣) في كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن: (الوُجود)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٤) في كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن: (مُفاضلةٌ)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٥) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٧٦).

إلَّا هُو!!» باعتبار الوُجود، فإنَّ الوُجود كُلَّه في الماهيَّات، هُو عين وُجوده، وإذا كان كذلك، فعلى من يعلو؟!

ثُمَّ صرَّح بذلك فقال: «وهُو من حيث الوُجود هُو عين الموجودات، فالمُسمَّى مُحدثاتٌ هي العليَّة بذاتها».

وهذا نصٌّ صريحٌ لا يحتاج إلى تفسيرٍ، فعلى هذا يكون الكلب علا بذاته، والخنزير علا بذاته، والقرد[١] والدُّبُّ والفأر، كُلُّ واحدٍ منهم علا بذاته؛ لأنَّ وُجوده عين الوُجود المُطلق الذَّاتيِّ، صرَّح الرَّجل وما قصَّر[٢]، وأبان عن مذهبه الخفيِّ في هذا الكلام، حيث قال: «وهو من حيث الوُجود عين الموجودات»، ثُمَّ فسَّر ذلك فقال: «فالمُسمَّى مُحدثاتٌ هي العليَّة بذاتها».

وما بعد هذا الإيضاح بعدٌ، ومن[٣] لم يفهم مُراده بعد هذا التَّصريح: فقد أبان عن بلادة طبعه وجُموده، وبالله المُستعان.

وقال أيضًا في الكلمة الإدريسيَّة: «ومن عرف ما[٤] قرَّرناه في الأعداد، وأنَّ نفيها عين إثباتها: علم أنَّ الحقَّ المُنزَّه هُو الخَلْق المُشبَّه، وإن كان قد تميَّز الخَلْق من الخالق»[٥].

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (والخنزير والقرد).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (أقصر).

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (وبعد هذا الإيضاح ومن).

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (ومن عرف أنَّ ما)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٥) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٧٨).

يعني باعتبار الذَّوات المُتعدِّدة، فبهذا يتميَّز الخَلْق من الخالق، وأمَّا باعتبار الوُجود فيكون كما قال أوَّلاً، فاختلط الأمر وانبهم، فإنَّ كلامه يُفسِّر بعضه بعضًا.

ثُمَّ قال: «فالأمر الخالق المخلوق، والأمر المخلوق الخالق، كُلُّ ذلك[١] من عينٍ واحدةٍ، لا بل هُو العين الواحدة، وهُو العُيون الكثيرة»[٢].

فقوله: «الأمر الخالق»، أي: هُو المخلوق، وكذلك الأمر المخلوق هُو الخالق، ثُمَّ صرَّح بهذا المُراد في قوله: «لا بل هُو العين الواحدة، وهُو العُيون الكثيرة»، وهذا ظاهرٌ من مُراده الذي قدَّمناه بلا إشكالٍ.

ثُمَّ قال: «فانظر[٣] ماذا ترى؟ ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾[٤]، والولد عين أبيه، فما رأى يذبح سوى نفسه، وفداه بذبحٍ عظيمٍ[٥]، فظهر بصُورة كبشٍ من ظهر بصُورة إنسانٍ، فظهر بصُورة ولدٍ[٦]، لا بل بحُكم ولد من هُو عين الوالد[٧]، ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾[٨]، فما نكح سوى نفسه، فمنه الصَّاحبة والولد، والأمر واحدٌ في العدد، فمَن الطَّبيعة ومَن الظَّاهر منها؟! وما رأيناها نقصت بما ظهر منها، ولا زادت بعدم ما ظهر، وما الذي ظهر غيرها؟ وما هي عين

---

(١) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٢) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٧٨).

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (انظر)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٤) سُورة الصَّافَّات: الآية ١٠٢.

(٥) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٦) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (الولد)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٨) سُورة النِّساء: الآية ١.

ما ظهر؟ لاختلاف الصُّور بالحُكم عليها[١]، فهذا باردٌ يابسٌ، وهذا حارٌّ يابسٌ، فجمع باليُبْس وأبان بغير ذلك، والجامع الطَّبيعة، لا بل العيْن الطَّبيعيَّة، فعالَم[٢] الطَّبيعة صُورٌ[٣] في مرآةٍ واحدةٍ، لا بل صُورةٌ واحدةٌ في مرائي مُختلفةٍ، فما ثمَّ إلَّا حيرة لتفرُّق النَّظر، ومن عرف ما قُلناه لم يَحِرْ، وإن كان في مزيد علمٍ فليس إلَّا من حُكم المحلِّ، والمحلُّ عيْن العيْن الثَّابتة، فيها يتنوَّع[٤] الحقُّ في المُجلَّى فتتنوَّع الأحكام عليه، فيقبل كُلَّ حُكمٍ وما يُحكم عليه إلَّا عين ما تجلَّى فيه، ما ثمَّ إلَّا هذا»[٥].

معاشر العُقلاء: هل تفهموا ما يقول هذا الضَّالُّ في ضلالته؟ افهموا إن كنتم تعقلون، قال: «الولد عين أبيه باعتبار الوُجود، فإنَّه واحدٌ فيه وفي ابنه، فما رأى يذبح سوى نفسه باعتبار الوُجود، فإنَّه واحدٌ».

فعلى هذا، يكون فرعون عيْن مُوسى، وأبو جهلٍ عيْن الصِّدِّيق، وزيدٌ عيْن عمرو[٦]، باعتبار الوُجود، فإنَّه واحدٌ فيه وفي كُلِّ شيءٍ، ويكون الملَك عين البشر، والصَّديق عين العدوِّ.

---

(١) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٢) في كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن: (والجامع الطَّبيعة فعالَم)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٣) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (ينبوع)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٥) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٧٨، ٧٩).

(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (عُمر).

ثمَّ[١] صرَّح بذلك في قوله: «فظهر في صُورة كبشٍ من ظهر بصُورة إنسانٍ لا بل بحُكم ولد من هُو عين الوالد[٢]»، والكُلُّ هُو الحقُّ: الكبش والإنسان والولد والوالد تارة، يظهر باعتبار الوُجود في صُورة كبشٍ من ظهر في صُورة إنسانٍ، وبُحكم ولدٍ من هُو عين الوالد، وما ثمَّ إلَّا هُو، لكن لتعدُّد المحلِّ والمُجلَّى، والعيْن واحدةٌ، فهذا عنده الكبش[٣] عيْن الولد، وهُو عيْن الوالد، فجعل الخليل ﷺ كبشًا، وجعل الولد والدًا.

ثُمَّ فسَّر ذلك وصرَّح به في قوله: «﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[٤]، فما نكح سوى نفسه»، فباعتبار الوُجود هُو النَّاكح وهُو المنكوح، والكُلُّ هُو، فمن النَّاكح ومن المنكوح؟!

فهل سمعتم معاشر العُقلاء كُفرًا أفحش من هذا؟ وتمزيقًا للرُّبوبيَّة أعظم من هذا؟ مَن أبو جهلٍ عند هذا؟! كان[٥] أبو جهلٍ خلقًا بليدًا لكنَّه كان يُبغض الحقَّ ويُعادي رسول الله ﷺ، والله ما وصل كُفره وفُحشه إلى هذا، ولا وصلت فطنته إلى قلب الحقائق والأعيان كما قلب هذا الحقائق، وجعل الخالق مخلوقًا والمخلوق خالقًا، والنَّاكح ما نكح سوى نفسه، أي: أنَّ آدم لمَّا نكح حوَّاء ما نكح إلَّا نفسه؛ لأنَّا ما رأيناه نقص منه شيءٌ لما ظهرت حوّاء منه، فكان الظَّاهر فيهما هُو، وفي الحقيقة ـ على زعمه وفُحشه ـ الوُجود المُطلق الظَّاهر في آدم وحوَّاء هُو النَّاكح وهُو المنكوح.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (وثُمَّ).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (بصُورة إنسانٍ لا بحُكم ولد من غير عيْن الولد)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (البشر)، وسقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت).

(٤) سُورة النِّساء: الآية ١.

(٥) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).

ثُمَّ حقَّق ذلك[١] فقال: «وما الذي ظهر منها غيرها»، وما بقي غير[٢] ما ظهر منها لاختلاف الصُّور في الحُكم الأوَّل باعتبار الوُجود، ما ظهر منها غيرها، فإنَّ الوُجود[٣] واحدٌ والثَّاني باعتبار المحلِّ، والمُجلَّى الذي تجلَّى فيه الحقُّ ما هي عين ما ظهر منها لاختلاف الصُّور، وهي الذَّوات في الحُكم المُوجب للأسماء.

ثُمَّ مثَّل على ذلك مثلاً فقال: «هذا باردٌ يابسٌ، وهذا حارٌّ يابسٌ، فجمع باليُبس وأبان بغير ذلك ـ يعني بالحرارة ـ والجامع الطَّبيعة، فعالَم الطَّبيعة صُورٌ في مرآةٍ واحدةٍ، لا بل صُورةٌ واحدةٌ في مرائي مُختلفةٍ، فما ثمَّ إلَّا حَيْرة لتفرُّق النّظر».

ثُمَّ قال: «فليس إلَّا من حُكم المحلِّ، والمحلُّ عيْن العيْن الثَّابتة[٤]، فيها يتنوَّع[٥] الحقُّ في المُجلَّى، فتتنوَّع[٦] الأحكام عليه».

هل تفهمون[٧] ما يقول؟! جعل طبيعة اليُبْس الجامعة للحارِّ والبارد بمثابة الوُجود، فإنَّه جامعٌ للأشياء كُلِّها، واليُبس جامعٌ للأشياء حارِّها وباردها، وجعل الحرارة والبُرودة أحكامًا وأسماء للطَّبع[٨] الواحد الجامع، وهُو طبيعة اليُبْس.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (وجعل الخالق مخلوقًا والمخلوق خالقًا ثُمَّ حقَّق ذلك).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (هي عيْن).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (الموجود).
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة: (الثَّانية)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (ينبوع)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة: (فينبوع)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (يفهمون).
(٨) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (أحكام وأسماء الطَّبع).

ثُمَّ قال: «فعالم الطَّبيعة صُورٌ في مرآةٍ واحدةٍ»، يعني: صُورًا مُختلفة، يابسٌ حارٌّ، يابسٌ باردٌ[١]، هذا هُو الاختلاف، ولكن هذا الاختلاف في مرآةٍ واحدةٍ وهُو اليُبْس من حيث هُو يُبْسٌ فهُو مرآةٌ واحدةٌ؛ لأنَّه أمرٌ واحدٌ للأشياء كُلِّها المُختلفة.

ثُمَّ قال: «لا بل صُورةٌ واحدةٌ في مرائي مُختلفةٍ»، فإنَّه[٢] طبيعةٌ واحدةٌ في مرائي مُختلفةٍ في الحارِّ والبارد، هُما[٣] مُختلفان، وهذا تقريبٌ للوُجود الفائض، جعل الطَّبيعة اليابسة بمثابة الوُجود الجامع، وجعل الحرارة والبُرودة بمثابة[٤] أحكام الأسماء للوُجود، فعلى هذا يكون الوُجود صُورًا[٥] في مرآةٍ واحدةٍ، يعني أنَّ لكُلِّ عيْنٍ وُجودًا مُنفردًا، لكنَّه في مرآةٍ واحدةٍ، وهُو الوُجود المُطلق.

ثُمَّ قال: «لا بل صُورةٌ واحدةٌ في مرائي مُختلفةٍ»، فإنَّه الوُجود المُطلق، شيءٌ واحدٌ فاض في مرائي مُختلفةٍ.

ثُمَّ قال: «فليس إلَّا من حُكم المحلِّ، والمحلُّ عين العين الثَّابتة»، يعني الذَّوات الثَّابتة في العدم، «فيها يتنوَّع[٦] الحقُّ في المُجلَّى، فتتنوَّع الأحكام عليْه»، أي: يتنوَّع حتَّى فاض بحسب[٧] قبول المحلِّ، فتتنوَّع الأحكام وهي الأسماء الموجودة بحسب الاستعداد.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (صُورٌ مُختلفةٌ يابسٌ باردٌ).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (فإنَّ).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (مختلفةٍ والحارِّ والبارد وهُما).
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (بمثاة).
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة: (صُور).
(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (ينبوع)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (تتنوَّع حين فاض يجب).

وكُلُّ هذا يُقرِّر ما قدَّمناه أوَّلًا من بيان أصل مذهبه، لا يحتمل مَعْنًى غيره لمن فهمه[١]، والله المُوفِّق للصَّواب.

ثُمَّ أنشد[٢]:

فالحقُّ خلقٌ بهذا الوجه فاعتبروا ... وليس خلقًا بذاك الوجه فادَّكِرُوا

يعني أنَّ الخلق خلقٌ باعتبار الوُجود، فإنَّ وُجود الجميع واحدٌ وليس خلقًا بذاك الوجه، لتنوُّع المحلات لمحلِّ الحقِّ بحسب استعداد كُلِّ محلٍّ[٣].

من يدر ما قُلت لم تُخذل بصيرته ... وليس يدريه إلَّا من له بصرُ

جَمِّعْ وفَرِّقْ فإنَّ العين واحدةٌ ... وهي الكثيرة[٤] لا تُبقي ولا تذرُ

وقال ـ زادنا الله فيه بصيرة ـ في الكلمة الإبراهيميَّة: «فإنَّ الحُكماء، وأبا حامدٍ ادَّعى أنَّه يُعرف الله من غير نظرٍ في العالم، وهذا غلطٌ، نعم، تُعرف[٥] ذاتٌ قديمةٌ أزليَّةٌ، لا يُعرف أنَّها إلهٌ حتَّى يُعرف المألوه، فهُو الدَّليل عليه، بعد هذا في ثاني حالٍ يُعطيك الكشف أنَّ الحقَّ نفسه سُبحانه كان عين الدَّليل على نفسه وعلى أُلوهيَّته، وأنَّ العالَم ليس إلَّا تجلِّيه في صُور أعيانهم الثَّابتة التي يستحيل وُجودها بدُونه[٦]، وأنَّه يتنوَّع ويتصوَّر بحسب حقائق هذه

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (كما فهم).

(٢) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٧٩).

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (لتنوُّع المحلات لمجلِّ الحقِّ بحسب استعداد كُلِّ محالٌ).

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (الكبيرة)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (يعرف)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٦) سقطت من كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

الأعيان وأحوالها، وهذا بعد العلم به منَّا أنَّه إلهٌ لنا، ثُمَّ يأتي الكشف الآخر فيظهر لك صُورنا فيه، فيظهر بعضنا لبعضٍ في الحقِّ»[١].

يُريد بهذا الكلام: أنَّ الكشف لا يكون في أوَّل مرَّةٍ، بل لا يُعرف الإله حتَّى يُعرف المألوه، ولا يُعرف المألوه إلَّا بمعرفة من أَلَّهَه، ثُمَّ بعد ذلك يُعطيك الكشف بأنَّ العالم ليس إلَّا تجلِّيه في صُور أعيانهم الثَّابتة التي يستحيل وُجودها بالتَّجلِّي[٢]، ثُمَّ بعد ذلك يُعطيك الكشف بأنَّ العالم ليس إلَّا تجلِّيه في صُور أعيانهم الثَّابتة التي يستحيل وُجودها ـ يُريد[٣] بالتَّجلِّي فيض الوُجود الذَّاتيِّ على مرائي الأعيان الثَّابتة في العدم ـ كما مرَّ أوَّلًا ـ، فإنَّ عنده أنَّ الأعيان كانت ثابتة في العدم، ليس لها وُجودٌ، فلمَّا فاض عليها الوُجود وُجدت[٤]، فصارت بوُجودها عالمًا، فليس العالم عنده إلَّا مُجرَّد[٥] التَّجلِّي في صُور الأعيان، ثُمَّ يأتي الكشف الثَّاني فيُظهر لك صُورنا فيه، أي: في وُجوده الذَّاتيِّ بصُورٍ مُختلفةٍ لاختلاف أحكام أسمائها لتنوُّع استعدادها، وهي أسماء وُجوده.

ثُمَّ قال: «يظهر بعضنا لبعضٍ في الحقِّ»، وبلغنا أنَّ في بلاد المشرق يجتمعون فيظهر لهم هذا الوهم الفاسد، وهُو ظُهور صُورهم المُختلفة في الوُجود الذَّاتيِّ، فيسجد بعضهم لبعضٍ؛ لأنَّهم تعارفوا في الحقِّ، فيسجد[٦] كُلُّ واحدٍ لصاحبه، ويتوهَّم أنَّه عينه، وإنَّما سجد لوُجوده في

---

(١) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٨١، ٨٢).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (يُريد بالتَّجلِّي).
(٣) سقطت من النسخة الخطِّيَّة (ح).
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (فاض الوُجود عليها وحدث).
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (بمُجرَّد).
(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (فسجد).

هذا[١] الحقِّ الجامع للكُلِّ.

فأيُّ مَخْرَقةٍ وأُحْمُوقةٍ تبلغ هذا؟ ما سمعنا بهذا في آبائنا الأوَّلين، وبالله المُستعان.

وقال في الكلمة الإبراهيميَّة أيضًا: «ولذلك كثر المُؤمنون، وقلَّ العارفون أصحاب الكُشوف، ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[٢]، وهُو ما كُنت به في ثُبوتك، ظهرت به في وُجودك، هذا إن ثبت أنَّ لك وُجودًا، فإن ثبت أنَّ الوُجود للحقِّ لا لك؛ فالحُكم لك لا شكَّ في وُجُود الحقِّ، وإن ثبت أنَّك الموجود فالحُكم لك بلا شكٍّ[٣]، وإن كان الحاكم الحقُّ فليس له إلَّا إفاضة[٤] الوُجود عليْك، والحكم لك عليْك[٥]؛ فلا تحمد إلَّا نفسك، ولا تذمَّ إلَّا نفسك، وما يبقى للحقِّ إلَّا حمد إفاضة[٦] الوُجود؛ لأنَّ ذلك له لا لك، فأنت غذاؤه بالأحكام، وهُو غذاؤك بالوُجود[٧]، فتعيَّن عليه ما تعيَّن عليك، فالأمر منه إليك، ومنك إليه، غير أنَّك تُسمَّى مُكلَّفًا، وما كلَّفك إلَّا بما قُلت له: كلِّفني بحالك وبما أنت عليْه، ولا يُسمَّى مُكلَّفًا ـ اسم مفعولٍ ـ.

فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده
ففي حالٍ أقرُّ به وفي الأعيان أجحده

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (وهُو).

(٢) سُورة الصَّافَّات: الآية ١٦٤.

(٣) في كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن: (فإن ثبت أنَّ الوُجود للحقِّ لا لك فالحُكم لك لا شكٍّ)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (إضافة)، وفي النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (إضافته)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٥) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ت).

(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (إضافته).

(٧) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (مطلبٌ: غذاء).

فيعرفني وأُنكره وأعرفه[١] فأشهده
فأنَّى بالمُغني[٢] وأنا أساعده فأُسعده[٣]
لذاك[٤] الحقُّ أوجدني فأعلمه وأُوجِده[٥]
بذا جاء الحديث لنا وحقَّق فيَّ مقصده»[٦]

وحاصل هذا أنَّ الحقَّ سُبحانه وتعالى على زعمه ليس يُحمد إلَّا لإضافةِ الوُجود فقط، ليس له فيك من التَّصرُّف غير هذا، وما عدا هذا من أحوالك وشؤونك فهُو منك بمُقتضى استعدادك؛ لأنَّ محلَّك اقتضى أن يأخذ من الوُجود ما استعدَّ له، وبذلك[٧] يُسمَّى بالأسماء المُختلفة التي عنده هي أسماء الحقِّ، فأنت غذاء الحقِّ بالأحكام، فإنَّه لولاك لم تظهر أسماؤه فيك، فصرت بذلك غذاءَهُ، وهُو غذاؤك بالوُجود، لولا[٨] وُجوده الذَّاتيُّ الفائض عليك ما ظهرت، فتعيَّن على العبد ما تعيَّن على الرَّبِّ[٩]، فصار لكُلٍّ منهما على الآخر حقٌّ، وافتقر كُلٌّ منها إلى الآخر ـ على زعمه[١٠] ـ، فكذلك قال:

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (وأُنكره وينكرني وأعرفه).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (بالغنى).
(٣) في كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن: (وأُسعده)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (لذلك)، وفي النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (كذاك)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (فأوجده).
(٦) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٨٣).
(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (ما استعدَّ له بذلك).
(٨) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (أولا).
(٩) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (فتعيَّن على الرَّبِّ ما تعيَّن على العبد).
(١٠) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (زعمك).

فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده

يعني يعبدني لأنِّي محلُّ أسمائه، وللأسماء فيه تصرُّفٌ لأنَّها من فيضه، وأعبده لأنَّني بوُجوده ظهرت، وكُلٌّ منَّا يعبد الآخر.

انتبهوا معاشر العُقلاء لما يقول[١]، ولا تصاموا ولا تتأوَّلوا[٢]، ولا تقولوا هذا[٣] حقائق ما نفهمها، بلى والله، يفهمها من كان له أدنى مُسْكَةٍ من عقلٍ صحيحٍ، وانصحوا لله، وجاهدوا هؤلاء الكفرة الفجرة الذين قد تفنَّنوا في كُفرهم بطرائف[٤] لم يسبقهم إليها أحدٌ من كفرة خلق الله ومُلحديهم، وبيَّنوا إعْوَارَهُم للخَلْق، وأَهِينُوا كُتبهم وأسماءهم، فإنَّهم أهانوا[٥] الرُّبوبيَّة ومزَّقوها، مزّقهم الله كُلَّ مُمزَّقٍ في الدُّنيا والآخرة.

اسمعوا ما يقول:

فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده
ففي حالٍ أقرُّ به وفي الأعيان أجحده

يعني باعتبار الوُجود أُقرُّ به، وفي الكثرة والتَّعيُّنات[٦] أجحده، فإنَّه واحدٌ[٧] وهي مُتعدِّدةٌ كثيرةٌ.

فيعرفني وأُنكره وأعرفه فأشهده

---

(١) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (تأوَّلوا).
(٣) أي: القول.
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (ظرائف).
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (هانوا).
(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (والبعثات).
(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (واحدةٌ).

فيعرفني هُو بكثرة أسمائه المُتعدِّدة فيَّ، وأعرفه أنا بوُجوده[١] الفائض عليَّ فأشهده.

وقوله:

فأنَّى بالمُغني[٢] وأنا أُساعده فأُسعده

أي: إنِّي بوُجوده الفائض عليَّ وبأحكامي التي هي أسماؤه أُساعده؛ لأنِّي محلُّ أسمائه، فبذلك تكون مُساعدتي له.

وجميع ما في الكتاب[٣] إشارةٌ إلى هذا المعنى الواحد الذي تكرَّر ذكره من أوَّل الكتاب إلى هُنا، ولولا محبَّتي للإفصاح عن مذهبه بنقل كلامه، وحلِّه وتفصيله على القاعدة الأُولى: لحصلت الكفاية ببعض ما تقدَّم ذكره من تكرار المعنى الواحد في هذه العبارات المُختلفة، وبالله المُستعان.

وقال في الكلمة اليعقوبيَّة: «وأمَّا سرُّه وباطنه فإنَّه تجلٍّ[٤] في مرآة وُجود الحقِّ، فلا يعود على المُمكنات من الحقِّ إلَّا ما تُعطيه[٥] ذواتهم في أحوالها، فإنَّ لهم في كُلِّ حالٍ صُورة، فتختلف صُورهم لاختلاف أحوالهم، فيختلف التَّجلِّي لاختلاف الحال، فيقع الأثر في العبد بحسب ما يكون، فما أعطاه الخير سواه، ولا أعطاه ضدَّ الخير غيره،

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (وأعرفه بوُجود).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (بالغنى).

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (الكُتب).

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (تجلَّى)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (يُعطيه)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

بل هُو مُنعم ذاته ومُعذِّبها؛ فلا[١] يذمَّنَّ إلَّا نفسه، ولا يحمدَّن إلَّا نفسه»[٢].

ثُمَّ قال: «السِّرُّ الذي فوق هذا أنَّ المُمكنات على أصلها من العدم، وليس وُجودٌ إلَّا وُجود الحقِّ بصُور أحوال ما هي عليه المُمكنات في أنفسها وأعيانها، فقد علمت مَنْ يلتذُّ ومَنْ[٣] يتألَّم وما يعقب كُلَّ حالٍ من الأحوال، وبه تُسمَّى[٤] عُقوبة وعقابًا، وهُو سائغٌ[٥] في الخير والشَّرِّ، غير أنَّ العُرف سمَّاه في الخير ثوابًا، وفي الشَّرِّ عقابًا، وبهذا سُمِّي أو شُرح الدِّين بالعادة، لأنَّه عاد عليه ما يقتضيه ويطلبه»[٦].

قوله: «من يلتذُّ ومن يتألَّم»، يُريد أنَّ العارف يعرف أنَّ المُتلذِّذ هُو الله والمُتألِّم هُو الله ـ ويأتي[٧] شرحه من نفس كلامه في الكلمة الأيُوبيَّة ـ ليُعرف أنَّه أراد ذلك حقيقة، ويكفي بذلك كُفرًا وزندقة، تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا، ونستغني عن شرح هذا الفصل، فإنَّه قد سبق في مواضع عدَّةُ: أشياء إذا فُهِمَت فُهِمَ معنى ما قاله هُنا، وبالله المُستعان.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (ولا)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٢) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٩٦).

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (تلتذُّ أو مَنْ)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (سُمِّي)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٥) في كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن: (شائعٌ)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٦) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٩٦).

(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (أنَّ المُلتذَّ هُو الله ويأتي).

وقال في الكلمة اليُوسُفيَّة: «اعلم أنَّ المقول[١] عليه ـ سوى الحقِّ، أو مُسمَّى العالَم ـ هُو[٢] بالنِّسبة إلى الحقِّ: كالظِّلِّ للشَّخص[٣]، فهُو ظلُّ الله، فهُو عين نسبة الوُجود إلى العالَم؛ لأنَّ الظِّلَّ موجودٌ بلا شكٍّ في الحسِّ، ولكن إذا كان ثَمَّ من يظهر فيه ذلك الظلُّ ـ حتَّى لو قَدَّرْتَ عدم من يظهر فيه ذلك الظِّلُّ ـ: كان الظِّلُّ معقولاً غير موجودٍ في الحسِّ، بل يكون بالقُوَّة في ذات الشَّخص المنسوب إليه الظِّلُّ، فمحلُّ ظُهور هذا الظِّلِّ الإلٰهيِّ المُسمَّى بالعالَم: إنَّما هُو أعيان المُمكنات عليها امتدَّ هذا الظِّلُّ»[٤].

أي: محلُّ الوُجُود الذي فاض من الحقِّ هُو أعيان المُمكنات عليها امتدَّ وُجُود الحقِّ كما يمتدُّ ظلُّ الشَّخص على محلِّه.

ثُمَّ قال: «فتُدرك[٥] من هذا الظِّلِّ[٦] بحسب ما امتدَّ عليه من وُجود هذه الذَّات، ولكن باسمه النُّور وقع الإدراك، وامتدَّ هذا الظِّلُّ على أعيان المُمكنات في صُورة الغيب المجهول»[٧].

---

(١) في كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن: (المعول)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٢) سقطت من كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (إلى الشَّخص)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٤) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ١٠١، ١٠٢).

(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (فيُدرك)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (امتدَّ هذا الظِّلُّ فتُدرك من هذا الظِّلِّ).

(٧) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ١٠٢).

ثُمَّ ساق الكلام إلى أن قال: «﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾[١]، وإنَّما قبضه إليه لأنَّه ظلُّه، فمنه ظهر[٢] ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾[٣]، فهُو هُو لا غيره[٤]، فكُلُّ ما نُدركه[٥] فهُو وُجود الحقِّ في أعيان المُمكنات، فمن حيث هَوِيَّة الحقِّ هُو وُجوده، ومن حيث اختلاف الصُّور فيه هُو أعيان[٦] المُمكنات، فكما لا يزول عنه باختلاف الصُّور اسم الظِّلِّ: كذلك لا يزول باختلاف[٧] الصُّور اسم العالَم، أو اسم سوى الحقِّ، فمن حيث أحديَّة[٨] ـ كونه ظلًّا ـ هُو الحقُّ لأنَّه الواحد الأحد، ومن حيث كثرة الصُّور هُو العالَم، وإذا كان الأمر على ما ذكرته لك: فالعالَم مُتوهَّمٌ ما له وُجودٌ حقيقيٌّ، وهذا معنى الخيال، أي: خُيِّل لك أنَّه أمرٌ زائدٌ قائمٌ بنفسه خارجٌ عن الحقِّ[٩]،

---

(١) سُورة الفُرقان: الآية ٤٦.

(٢) في كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن: (فمنه ظهر وإليه رجع)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٣) سُورة هُود: الآية ١٢٣.

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (فهُو لا غيره)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (تُدركه)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (عين)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٧) في كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن: (لا يزول باختلاف الصُّور اسم الظِّلِّ كذلك لا يزول عنه باختلاف)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٨) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (الخلق فمن حيث أحديَّته)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٩) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (الخلق)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

وليس كذلك في نفس الأمر، ألا تراه في الحسِّ مُتَّصلاً[١] بالشَّخص الذي امتدَّ عنه، يستحيل عليه الانفكاك عن ذلك الاتِّصال؛ لأنَّه يستحيل على الشَّيء الانفكاك عن ذاته، فاعرف عينك، ومَنْ أنت؟ وما هويَّتك؟ وما نسبتك إلى الحقِّ؟ وبما أنت حقٌّ، وبما أنت عالَمٌ، وسوى، وغير ذلك»[٢].

وحاصل هذا الفصل الذي ذكره: أنّه جعل نسبة العالَم إلى وُجود الحقِّ كنسبة الظِّلِّ إلى الشَّخص، وعنده أنَّ وُجود الحقِّ أشدُّ[٣] على الأعيان المُمكنات في العدم، كما امتدَّ الظِّلُّ على محلِّه، فهي ثلاثةٌ فافهمها، محلٌّ، وظلٌّ يقع عليه، وشخصٌ يكون عنه الظِّلُّ، فالمحلُّ المُمكنات، والظِّلُّ الوُجود، فكما يقبل المحلُّ من الظِّلِّ بقدر استعداده: كذلك[٤] ـ على زعمه ـ يقبل المُمكن من وُجود الحقِّ على قدر استعداده.

ثُمَّ حقَّق ذلك فقال: «العالَم مُتوَّهمٌ ما له وُجودٌ حقيقيٌّ»، أي: كما أنَّ الظِّلَّ ليس له وُجودٌ حقيقيٌّ.

ثُمَّ قال: «فاعرف عينك، ومَنْ أنت؟ وما هويَّتك؟»، وفي هذا الكلام شُبهة حقٍّ، رُبَّما[٥] أشكل على بعض النَّاس، وهُو قوله: «ألا تراه ـ يعني الظِّلَّ ـ في الحسِّ مُتَّصلاً بالشَّخص الذي امتدَّ عنه، يستحيل عليه الانفكاك من ذلك الاتِّصال». نعم، الكون مُتَّصلٌ بتدبير الحقِّ له وإمداده[٦] من قُدرته

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (مُطلقًا)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٢) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ١٠٣).

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (لذلك).

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (امتدَّ).

(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (بما).

(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (وامتداده).

ما يتمُّ به وُجوده وبقاؤه، وليس اتِّصاله بالحقِّ كاتِّصال الظِّلِّ بالشَّخص: كُلَّما تحرَّك تحرَّك، أو سكن سكن، هذا مثالٌ فاسدٌ، لا يستقيم في نسبة الكون إلى الحقِّ باعتبار أنَّ عيْن وُجود الكون: هُو عين وُجود الحقِّ، وقد سبق أنَّ للحقِّ تعالى وُجودًا قائمًا به قديمًا أزليًّا، وللكون وُجودٌ آخر مُحدَثٌ مخلوقٌ مُفتقرٌ قائمٌ بإمداد الله تعالى[١] له من قُدرته وأمره التَّكوينيِّ، فليس[٢] قيامه بعين وُجود الحقِّ تعالى ـ وُجُود الله ـ أن يقوم بعينه شيءٌ غير الله، فإنَّه وُجودٌ يقوم[٣] به، وللخلق وُجودٌ ضعيفٌ مُفتقرٌ يليق بهم، هُو صادرٌ عن قُدرة صاحب الوُجود القديم، هذا هُو مذهب المُسلمين الذين جعلوا[٤] بين الحقِّ والخَلْق مُباينة يقتضيها القدم والحدث.

وأمَّا من جعل الحقَّ خلقًا باعتبارٍ والخلق حقًّا باعتبارٍ[٥]، ويعود فيقول: الكُلُّ هُو، ما ثَمَّ غيره، وأنت هُو، وهُو أنت: فهذا صاحب وهمٍ فاسدٍ، وخيالٍ زائغٍ، يتعيَّن[٦] معرفة زيغه وتحذير المُسلمين من شُبهاته، وبالله المُستعان، وعليه التُّكلان، ولا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

تقدَّم في الكلمة اليعقوبيَّة كلامٌ[٧] فسَّره في الكلمة الأيُّوبيَّة، قال في

---

(١) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (وليس).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (يليق).
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (يتجعَّلوا).
(٥) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (مطلبٌ: وأمَّا مَنْ جعل).
(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (تتعيَّن).
(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (كلامًا).

الكلمة اليعقوبيَّة[١]: «المُمكنات على أصلها من العدم، وليس وُجودٌ إلَّا وُجود الحقِّ بصور[٢] أحوال ما هي عليه المُمكنات في[٣] أنفسها وأعيانها، فقد علمت من يلتذّ ومن يتألَّم»، وهُو لم يُرد بقوله: «من يلتذّ ومن يتألَّم» إلَّا جناب الحقِّ العزيز المُنزّه المنيع.

ويُفسِّر ذلك قوله في الكلمة الأيُّوبيَّة قال: «وعَلِمَ أيُّوب أنَّ في حَبْس[٤] النَّفس عن[٥] الشَّكوى إلى الله في رفع[٦] الضُّرِّ مقاومة للقهر الإلٰهيِّ، وهُو جهلٌ بالشَّخص إذ[٧] ابتلاه الله بما تتألَّم[٨] منه نفسه[٩]، فلا[١٠] يدعو الله في إزالة ذلك الأمر المُؤلم»[١١].

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (ولا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم قال في الكلمة اليعقوبيَّة).

(٢) في كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن: (تُصوِّر)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (ففي)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (جنس)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (عيْن)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٦) في كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن: (دفع)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٧) في كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن: (إذا)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٨) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (يتألَّم)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٩) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(١٠) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (ولا)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(١١) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ١٧٤).

فهذا قد جهَّل أيوب عليه السَّلام في صبره وترك الشَّكوى إلى الله في أوَّل الأمر، وكفى بمن جهَّل[١] الأنبياء كُفرًا.

قال[٢]: «بل ينبغي له عند المُحقِّق أن يتضرَّع ويسأل الله في إزالة ذلك عنه، فإنَّ ذلك إزالة عن جناب الحقِّ عند العارف صاحب الكشف، فإنَّ الله قد وصف نفسه بأنَّه يُؤذى، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[٣]، وأيُّ أذى أعظم من أن يبتليك ببلاءٍ عند غفلتك عنه أو عن مقامٍ إلٰهيٍّ لا تعلمه لترجع إليْه[٤] بالشَّكوى فيرفعه عنك؟ فيصحُّ الافتقار الذي هُو حقيقتك، فيرتفع عن الحقِّ الأذى بسُؤالك إيَّاه في رفعه[٥] عنك، إذ أنت صُورته الظَّاهرة»[٦].

فهل سمعتم معاشر العُقلاء بمثل هذا الكلام في تجهيل الأنبياء؟ وفي أنَّ الضُّرَّ إذا انكشف عن المُبتلى إنَّما ينكشف عن الحقِّ! فَفُهِمَ من ههنا.

أمَّا ما قاله في الكلمة اليعقوبيَّة: «فقد علمت من يلتذُّ ومن يتألَّم»، يُريد بالمُتلذِّذ[٧] والمُتألِّم: الرَّبَّ المُنزَّه تعالى عن الالتذاذ والتَّألُّم الكائنيْن في خلقه[٨]، وبالله المُستعان.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (من يُجهِّل).
(٢) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).
(٣) سُورة الأحزاب: الآية ٥٧.
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (الله)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٥) في كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن: (دفعه)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».
(٦) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ١٧٤).
(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (بالمُلتذِّ).
(٨) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).

وحقَّق ذلك في قوله: «فيرتفع عن الحقِّ الأذى بسُؤالك إيَّاه في رفعه عنك؛ إذ أنت صُورته الظَّاهرة»، أي: أنَّ المُبتلى المضرور هُو صُورة الحقِّ الظَّاهرة، فإذا زال الضُّرُّ والبلاء عنه فقد زال عن الحقِّ، فإنَّ المُبتلى هُو صُورة الحقِّ الظَّاهرة والحقُّ هُو حقيقته، فإذا زال عن الصُّورة البلاء زال عن الحقيقة الأذى لتلازُمهما؛ إذ كُلٌّ منهما يتألَّم بما يتألَّم به الآخر؛ افهمُوا ذلك معاشر العُقلاء من كلامه.

وقال[١] في الكلمة الإلياسيَّة[٢]: «إنَّ العقل إذا تجرَّد لنفسه من حيث أخذه العُلُوم[٣] عن نظره كانت معرفته لله[٤] على التَّنزيه لا على التَّشبيه[٥]، وإذا أعطاه الله المعرفة بالتَّجلِّي كملت معرفته بالله، فنزَّه في موضعٍ، وشبَّه في موضعٍ، ورأى سريان الحقِّ[٦] في الصُّور الطَّبيعيَّة[٧] والعُنصريَّة[٨]، وما بقيت له صُورة إلَّا وترى عين الحقِّ عينها، وهذه المعرفة التَّامَّة التي جاءت بها

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (وبالله المُستعان وقال).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (الياسيَّة).

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (المعلوم)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٤) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة: (النِّسبة)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (سريان الكائن في خلقه الحقِّ)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (الصورة الطبيعة)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٨) سقطت من كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

الشَّرائع المُنزَّلة من عند الله، وحكمت بهذه[١] المعرفة الأوهام كُلَّها، ولذلك[٢] كانت الأوهام كُلُّها أقوى سُلطانًا من العُقول في هذه النَّشأة»[٣].

وقال في الكلمة الهارونِيَّة: «فكان مُوسى أعلم بالأمر من هارون؛ لأنَّه علم ما عبده أصحاب العجل لعلمه[٤] بأنَّ الله قد قضى أن لا يعبدوا[٥] إلَّا إيَّاه، وما حكم الله بشيءٍ إلَّا وقع، فكان عَتْب[٦] مُوسى أخاه هارون لمَّا وقع الأمر في إنكاره[٧] وعدم اتِّساعه، فإنَّ العارف من يرى الحقَّ في كُلِّ شيءٍ، بل يراه عين كُلِّ شيءٍ، فكان مُوسى يُربِّي هارون تربية علم، وإن كان مُوسى أصغر منه في السِّنِّ»[٨].

فانظروا رحمكم الله تعالى إلى قوله: إنَّ عتب مُوسى إنّما كان على هارون في إنكاره وعدم اتِّساعه؛ هل يقول هذا مُسلم؟!

وقال[٩] في الكلمة المُوسويَّة: «فقال له: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (هذه)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (كذلك)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٣) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ١٨١).

(٤) سقطت من كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (نعبد)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (عَيْب)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٧) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (وقع من إنكاره)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٨) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ١٩٢).

(٩) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (في السِّنِّ وقال).

مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾[١]. والسِّين في السِّجن من حُروف الزَّوائد، أي: لأسترنَّك، فإنِّك[٢] أجبت بما أيَّدتني به أن أقول لك مثل هذا القول، فإن قُلتَ لي: فقد جهلت يا فرعون بوعيدك إيَّاي، والعين واحدة فكيف فرَّقت؟ فيقول فرعون: إنَّما فَرَّقَت المراتبُ العَيْنَ، ما تفرَّقت العين ولا انقسمت في ذاتها، ومرتبتي الآن التَّحكُّم فيك يا مُوسى بالفعل، وأنا أنت بالعين وغيرك بالرُّتبة؛ فلمَّا فهم ذلك مُوسى منه أعطاه حقَّه في كونه يقول له: لا تقدر على ذلك؛ والرُّتبة تشهد له بالقُدرة عليه، وإظهار الأثر فيه؛ لأنَّ الحقَّ في رُتبة فرعون من الصُّورة الظَّاهرة لها[٣] التَّحكُّم على الرُّتبة التي كان فيها ظُهور مُوسى في ذلك المجلس»[٤].

وخُرَافَاتٌ يكاد العاقل يضحك منها؛ لكنَّه يبكي من نسبة الأنبياء صلوات الله عليهم إلى مثل هذه الخُرافات، وأنَّهم على مذهبه[٥] يتكلَّمون باصطلاحه من وحدة الوُجود.

يقول مُوسى لفرعون: «العين واحدةٌ فكيف فرَّقت؟ فيقول فرعون: إنَّما فَرَّقَت المراتبُ العَيْنَ، ما تفرَّقت ولا انقسمت في ذاتها»، وهذا أيضًا يدلُّ على أنَّ فرعون ـ على زعمه ـ كان عارفًا مُوحِّدًا يتكلَّم[٦] بلسانه ومُعتقده،

---

(١) سُورة الشُّعراء: الآية ٢٩.

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (فإنِّي)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (الظَّاهرة التي لها)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٤) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٢٠٩).

(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (وأنَّهم كانوا على مذهبهم).

(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (يُكلِّم).

حيث كان الحقُّ في رُتبته ـ كما ذكره هُو أوَّلًا[١] ـ، فإلى الله الشَّكوى، وبه المُستعان.

وقال في الكلمة المُحمَّديَّة: «فلم يكن في صُورة النَّشأة العُنصريَّة أعظم وصلة من النِّكاح، ولهذا تعمُّ الشَّهوة أجزاءه كُلَّها، ولذلك أمره بالاغتسال، فعمَّت الطَّهارة كما عمَّ الفناء فيها عند حُصول الشَّهوة، فإنَّ الحقَّ غيورٌ على عبده أن يعتقد أنَّه يلتذُّ بغيره، فطهَّره بالغُسل ليرجع بالنَّظر إليه فيمن فني فيه؛ إذ لا يكون إلَّا ذلك، فإذا شهد الرَّجلُ الحقَّ في المرأة: كان شُهودًا في مُنفعلٍ، وإذا شاهده في نفسه ـ من حيث ظُهور المرأة عنه ـ: شاهده في فاعلٍ، وإذا شاهده من نفسه من غير استحضار صُورة ما تكوَّن[٢] عنه: كان شُهوده في مُنفعلٍ عن الحقِّ بلا واسطةٍ، فشُهوده الحقَّ في المرأة أتمُّ وأكمل؛ لأنَّه يُشَاهِدُ[٣] الحقَّ من حيث هُو فاعلٌ مُنفعلٌ، ومن نفسه من حيث هُو مُنفعلٌ خاصَّة، فلهذا أحبَّ الرَّسول ﷺ النِّساء لكمال شُهود[٤] الحقِّ فيهنَّ؛ إذ لا يُشَاهِدُ الحقَّ مُجرَّدًا عن الموادِّ أبدًا»[٥].

معناه: أنَّ الرَّسول ﷺ إنَّما أحبّ النِّساء لأنَّه شاهد الحقَّ فيهنَّ، وشُهُوده في المرأة أعلى من شُهُوده في نفسه، فإنَّ الشُّهُود في المرأة يجمع

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (هؤلاء).

(٢) في كلا النُّسختيْن الخطِّيَّتيْن: (يكون)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (لا يُشاهد)، وفي النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (لأنَّه شاهد)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (لشهود)، والمُثبت هُو الموافق لما في «فُصوص الحِكَم».

(٥) «فُصوص الحِكَم» لابن عربي (١/ ٢١٧).

الأمريْن: حيثيَّة كونه فاعلاً ومُنفعلاً، وفي نفسه من حيث ظُهُور المرأة عنه يكون شاهدًا في فاعلٍ.

ويُفسِّر هذا الكلام: ما ذكره أوَّلًا من قوله: «فما نكح سوى نفسه»، فهُو النّاكح في وهمه الفاسد وهُو المنكوح، إشارة إلى قوله: «﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾»؛ فحوَّاء مُنفعلةٌ عن آدم، وآدم من حيثيَّة انفعاله عنها هُو كالفاعل فاعلٌ، فإذا شهده في المرأة كان أتمَّ من كونه رآه في صورةٍ هي فاعله؛ ثُمَّ هُو فاعله ناكحٌ، وهي منفعلةٌ منكوحةٌ، والكُلُّ واحدٌ، فما نكح سوى نفسه، وغير ذلك من الخُرافات.

فانظروا[١] رحمكم الله تعالى[٢] إلى هذه الخُرافات التي لا حقيقة لها، إنَّما حاصلها وَهْمٌ وخيالٌ، والوهم عنده أعلى من العقل ـ كما نبَّه عليه فيما تقدَّم ـ.

فمَنْ هذا كلامه، وهذه عباراته[٣]: هل يحلُّ لمُسلمٍ أن يعتقد فيه أو في ولايته، أو يُطالع كلامه عن اعتقادٍ؟! اللَّهُمَّ إلَّا عن استبصارٍ لشُبهةٍ، بل على كُلِّ مُسلمٍ يفهم عنه: أن يُحذِّر المُسلمين من الوُقوع في مزلاته، ويحجز[٤] بينهم وبين التَّردِّي في آباره ومهالكه.

فكم قد أهلك هؤلاء من طالبٍ أقاموا في ذهنه هذه الخيالات الفاسدة التي تخرج بصاحبها عن الإيمان، ويمرق[٥] عن الدِّين كما يمرق السَّهم من

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (مُجرَّدًا عن الموادِّ أبدًا فانظروا).
(٢) سقطت من النُّسخة الخطِّيَّة (ح).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (عبارته).
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (ويحجر).
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (وتمرق).

الرَّميَّة، ثُمَّ ماتوا ولقوا الله[١] على هذه العقائد الفاسدة والتَّوهُّمات الباطلة.

فرَّقوا الرُّبوبيَّة، ومزَّقوها في الكائنات كُلَّ مُمزَّقٍ، يقول[٢] الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[٣].

هذا في شخصٍ واحدٍ حكم بكُفرهم، وحقَّقهم به، حيث قالوا: إنَّه الله؛ فما ظنُّك فيمن يجعل جميع الموجودات اللهَ، وأنَّ وُجودها عين وُجوده؟! فهؤلاء كفروا بالله عدد كُلِّ شيءٍ، ونحن نقول: سبحان الله عدد كُلِّ شيءٍ.

وفيما ذُكر من كلامه تنبيهٌ على مُراده وسُوء عقيدته، وفي بعض ذلك كفايةٌ لمن رام التَّفقُّه في إلحاده، وبالله المُستعان، وعليه التُّكلان، ولا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل[٤].

❑❑❑

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة (ت): (إليه).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة (ح): (ومزَّقوها كُلَّ مُمزَّقٍ بقول).

(٣) سُورة المائدة: الآيتان ١٧، ٧٢.

(٤) في حاشية النُّسخة الخطيَّة (ح): (بلغ مُقابلة)، وفي النُّسخة الخطيَّة (ت): (وصلواته على سيِّدنا مُحمّدٍ وآله وصحبه أجمعين، تمَّت). قُلتُ: كان الفراغ من تقييد التَّعليق، وتمام الختام من هذا التَّحقيق: في قرية كُوهيج (دار العلم)، في مركز جناح، في مدينة بستك، في محافظة هرمزكان، في جُمهوريَّة إيران، في يوم الأحد ١ جُمادى الأُولى ١٤٣٥هـ؛ الموافق ٢ مارس (آذار) ٢٠١٤م.

تلقيح الأفهام
في تحمل طبقات الأعلام

تأليف

الإمام الزاهد الناسك، والعالم العابد السالك
عماد الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي
المعروف بابن شيخ الحزاميين
(٦٥٧ - ٧١١ هـ)

تحقيق وتعليق

الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي

من درجة التَّتار وأهل الاتِّحاد، إلى أهل الجذبة والمحبَّة الخاصَّة من قسم المُريد والمُراد، فيتبيَّن لك في هذه القاعدة إن شاء الله تعالى كيف تصعد بهم الفضائل من تلك الدَّركات، درجةً درجةً إلى كمال النِّهايات.

فهرست الطَّبقات

وليس ترتيب الفهرست على ما في الكُرَّاس فإنَّه يتداخل، بل هُو على ترتيب الطَّبقات، فإنَّه من الأدنى إلى الأعلى: أهل الشَّهادة من التَّتار، أهل الاتِّحاد، الرَّافضة، الجهميَّة، أهل الوله، وأكل الحيَّات، الفقيه الذي يطلب بعلمه الدُّنيا لا غير، الفقير الذي يطلب بفقره الدُّنيا لا غير، الصُّوفيُّ الذي يطلب برسمه التَّأكُّل، الفقيه المُخلص بأعماله كُلِّها ظاهرًا وباطنًا، المُستعدُّ للآخرة، الفقيه العامل الذي وصل تقواه إلى باطنه، الفقيه المُكمِّل للتَّقوى الظَّاهر والباطن، الذي باشر قلبه نُور الصِّفات، الذي جمع ذلك العُبوديَّة لله تعالى، الذي جمع ذلك المحبَّة الخاصَّة لله، المحبوب، المُصطبغ[1] الذي أخذته يد المنَّة إلى الجذبة أخذًا مع السُّلوك بعدها، وهُو أعلاهم طبقة، وهُم ثمان عشرة طبقة، والله المُوفِّق والمُعين.

❑❑❑

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (المُضطبع).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائم على كُلِّ نفسٍ بما كسبت، المُحصي عليها من الأعمال ما قدَّمت وأخَّرت، المُثيب لها فيما أحسنت، والمُعاقب لها فيما اجترحت، قيُّومٌ قائمٌ بالقسط لا إلٰه إلَّا هُو لا يعزب عنه مثقال ذرَّةٍ وإن خفيت، ولا يخفى عن علمه دبيب الخواطر وأعمال القُلوب فيما تحرَّكت، له المثل الأعلى والأسماء الحُسنى، لطيفٌ بمخلوقاته وإن تنوَّعت، قَسَم لكُلِّ طبقةٍ من الأُمَّة نصيبًا من الإيمان فهُو حظُّها علت في الدَّرجات به أو بالقُصور تسفَّلت، وألاح لكُلٍّ منهم عِلْمًا من مراتب اليقين ودوائره فإليه ينتهي علم أحدهم وعليه تنبني أعماله إذا خَلَصَتْ.

وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، غافر الذَّنب وقابل التَّوب ممَّن أسلم إليه وجهه وزكَّى نفسه فطهرت، شديد العقاب لمن حاد عن طريقته المُثلى وعصت نفسه وجمحت.

وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبده ورسوله نبيُّ الرَّحمة فأنواره عمّت، وأُمَّته بالفضل سبقت، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ما طلعت شمسٌ وأشرقت، وأبانت قريحة مُبينٍ ونطقت.

أما بعد:

فإنَّ الإنسان قد يدّعي كمال الإسلام بلفظه بالشَّهادتيْن ودُخوله مع النَّاس في جماعاتهم وأعيادهم وصومهم وفطرهم، ويغيب عن طبقات أهل

الإسلام ومراتبهم التي بالعُلُوِّ فيها يكمل الكامل وبالانحطاط عنها ينقص، ولكُلٍّ درجاتٌ عند الله، والله بصيرٌ بالعباد.

وممّا يُستعجب مثله ويُستشكل: أنَّه قد تجتمع مُعظم قُلوب أهل العصر على إنكار حال رجلٍ صحَّت قُصوده وعُقوده، وخلصت أعماله وزكت سعاياته، وكان الذي يقتضيه العدل أنْ يظهر تمييزه على جميع العالم بما تميَّز من العُلوم الدَّقيقة والأعمال المُرتفعة إلى الله عزَّ وجلَّ الظَّاهرة والباطنة، ولسنا نقصد رجلاً مُعيَّنًا، بل أقصد الجنس، فيُقال: كيف غابت عن الفُهوم فضائله، وجهلت العُقول مزيَّته؟ فاستخرت الله تعالى في شرح قاعدةٍ نُبيِّن فيها تمييز طبقات المُؤمنين بعضهم من بعضٍ، ويظهر فيها القَدْر الذي وقع فيه الإشكال بين الطَّوائف، يحصل فيه التَّعارف والتَّآلف، والقَدْر الذي وقع فيه التَّمييز فحصل بسببه التَّناكر والتَّباعد، ولا تعلم كُلُّ طائفةٍ من غيرها إلَّا القَدْر الذي شاركها، ويغيب عنها ما امتازت به عنها، فتُقرُّ لها بما شاركتها فيه لعلمها به، فتألف ما علمته، وتُنكر ما امتازت به عنها لعدم شُعورها بذلك، فتتناكر وتتباغض وتتباعد، ورتَّبته على فُصُولٍ:

الفصل الأوَّل

جميع المُسلمين يشتركون في كلمة التَّوحيد لا إله إلَّا الله، مُحمّد رسول الله، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1].

فقد يُقرُّ العبد بذلك باطنًا، ويفوه به ظاهرًا: فيبقى بينه وبين عُمُوم المُسلمين قَدْرٌ مُشتركٌ، ومن العُموم كثيرٌ من التَّتر وأهل الاتِّحاد والرَّافضة، بل والثَّلاث وسبعين فِرْقة، منهم الجهميَّة والمُعتزلة والمُرجئة وغيرهم، فإذا قُرِأَ كتاب الله عزَّ وجلَّ وسُنَّة رسوله ﷺ، وتُفقِّه فيهما، وعُرِفَ مُراد الله عزَّ وجلَّ

(١) سُورة آل عمران: الآية ١٩.

من عباده في الأمر والنّهي، واعْتُقِدَ وُجوبه علمًا، وتُلُبِّسَ به عملاً، وعُلِمَ أنَّه لا يُخلِّص في الآخرة عند الله غير ذلك، ولا يُنال رضاه إلَّا به، ولا يُخلِّص العبد من عقاب الله ويُنال ثوابه إلَّا به: تميَّز بذلك عن التَّتر المُقرِّين بالشَّهادتيْن قولاً ومُخالفتهم حُكمها عملاً، والرُّجوع عند الأحكام إلى الياساق[1] شريعة جنكسخان، ومن خَلْفِه صناديدُ الضَّلال والطُّغيان، فلو فرضنا أقرَّ بالشَّهادتيْن ولم يعتقد وُجوب الأمر والنَّهي، أو اعتقد ذلك وخالف المُعتقَد بعمله: لكان بينه وبين الفِرَق الضَّالة قَدْرٌ مُشتركٌ، ورُبَّما أمكنه مُخالطتهم ومُعاشرتهم، ورُبَّما أحبَّهم وأحبُّوه؛ لعدم التَّمييز بينهم وبينه، والعقائد والأعمال بما تُوجب التَّميُّز من ذلك، ولو فرضنا ذلك لشخصٍ بعينه في أوان مُخالطته ومحبَّته لهم اعتقد وُجوب الأعمال: لصار بينه وبينهم قَدْرٌ مُميَّزٌ، لو ظهر حُكم اعتقاده لرُبَّما وقع بينه وبينهم مُغايرةٌ، وكذلك لو ظهر العمل كانت المُغايرة أشدَّ والمُوجب للتَّباعد والمُخالفة أظهر، فقد ظهر أنّ بمُجرَّد اعتقادٍ لمُوجب العمل مع التَّلبُّس بالعمل: قد امتاز بذلك عن مُسلمي التَّتر.

فصلٌ

ولو فرضنا هذا المُسلم بعينه اقتبس من الكتاب والسُّنَّة أنَّ الإلٰه المعبود وهُو ذاتٌ مُنفردٌ بنفسه عن جميع مخلوقاته بائنٌ منها، ومخلوقاته بائنةٌ منه؛ فإنَّ الوُجود المُطلق المُقيَّد في كُلِّ شيءٍ خَلْقٌ من خَلْق الله، وصُنْعٌ من صُنْعه،

---

(١) قال القلقشندي في «صُبح الأعشى» (٤/ ٣١٠، ٣١١): (الذي كان عليه جنكزخان في التَّديُّن، وجرى عليه أعقابه بعده: الجريُ على منهاج (ياسة) التي قرَّرها، وهي قوانين خمَّنها من عقله، وقرَّرها من ذهنه، رتَّب فيها أحكامًا، وحدَّد فيها حُدودًا: بما وافق القليل منها الشَّريعة المُحمَّديَّة، وأكثرها مُخالفٌ لذلك، سمَّاها: (الياسة الكُبرى)، وقد اكتتبها وأمر أن تُجعل في خزانته؛ تُتوارث عنه في أعقابه، وأن يتعلَّمها صغار أهل بيته).

وأنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يظهر لنفسه ظُهورًا[١] في المخلوقات، ولا ظهر بوُجود ذاته في المخلوقات أصلاً كما يزعم ذلك أهل المُعتقد الفاسد من أهل الرُّوم والمغرب[٢]، فعندهم أنَّه كان مُطلقًا لا يُتصوَّر أن يرى نفسه في الخارج مع الإطلاق، فأفاض وُجوده على الأشياء الثَّابتة في عدمها، فلمَّا أفاضه على الأشياء تقيَّد ذلك المُطلق في كُلِّ مُتعيِّنٍ فرأى نفسه في الخارج بواسطة ظُهُور الأشياء المُتفرِّقة المُتعدِّدة، كما قال قائلهم[٣]:

رأيت نفسك فينا وهي واحدةٌ كثيرةٌ ذات أسماءٍ وأوصافِ

فكُلُّ شيءٍ هُو باعتبار الوُجود المُطلق، وليس باعتبار الكثرة والتَّعدُّد، فهؤلاء عندهم مثلاً: الحيوان أصله من النُّطفة، والنُّطفة أصلها من الغذاء، والغذاء أصله من النَّبات والحيوان، وأصلهما من السَّماء، وماء السَّماء يتكوَّن من السَّحاب، والسَّحاب مُتكوِّنٌ من البُخار، والبُخار مثلاً من مظاهر الوُجود المُطلق، فظهر الوُجود في البُخار، وظهر السَّحاب من البُخار، وظهر الماء من السَّحاب، وظهر النَّبات من الماء، وظهرت النُّطفة من اغتذاء الحيوان بالنَّبات، ويكون الحيوان من النُّطفة، فظهر هذا الحيوان في الوُجود، فعاش ما قُسم له أن يعيش ثُمَّ مات فالتحقت ناريَّته بمركز النَّار، وهوائيَّته بمركز الهواء، ونسفت مائيَّته الهواء، والتحقت تُرابيَّته بالتُّراب، فذهب كأن لم يكن.

فعند المُسلمين هذا خَلْق الله وصُنْعه برز بِحُكْم المشيئة وأقامته القُدْرة وعاش مقدار ما قُسم له، ثُمَّ أفناه الله عزَّ وجلَّ وأذهبه كما أحياه، وأظهره

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (ظُهور).

(٢) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ: في المُعتقد الفاسد).

(٣) هُو العفيف التِّلمسانيُّ، كما أشار إلى ذلك المُؤلِّف في: «كتاب فيه لُمعةٌ من أشعَّة النُّصوص في هتك أستار الفُصوص».

ليستدلَّ بذلك على صُنعه ونُفُوذ حُكمه وقُدْرته ولطائف حكمته في أنواع ما أظهره، فعُبِدَ هذا الرَّبُّ العظيم الخالق الفاطر البائن عن سائر مخلوقاته بذاته وصفاته، هذا هُو مُعتقد أهل الإسلام.

ومُعتقد الفِرْقة الضَّالَّة: أنَّ الظَّاهر في البُخار والسَّحاب والماء والنَّبات والحيوان هُو الله بنفسه وذاته، ظهر الوُجود المُطلق في الأشياء المُتنوِّعة، فيرى نفسه فيها؛ إذ لولا فيض الوُجود على الأشياء ما ظهر الوُجود في الخارج، وكانت الأشياء على زعمهم الفاسد ثابتة لا وُجود لها؛ فأكسبها من ذات وُجوده فظهرت بعين وُجوده، فهُو الظَّاهر فيها وهي الظَّاهرة له، وهُم يُفرِّقون بين الثُّبوت والوُجود، فعندهم ظهر الوُجود المُطلق في الخارج بواسطة هذا الحيوان، فلمَّا مات رجع المُقيَّد الذي فيه الإطلاق، وهُو مذهبٌ باطلٌ فاسدٌ ما سبقهم إليه أحدٌ، اللَّهُمَّ إلَّا ما يُنقل عن جَهْم بن صفوان في كلامٍ له بأنَّ المعبود هُو الهوى في كُلِّ شيءٍ، ولا يخلو منه شيءٌ.

ويقول بِشْر المَرِيسِي: سُبحان ربِّي الأسفل، وبتسميته للسُّورة كذا، باعتبار أنَّها لا تخلو منه؛ إذ لا يخلو منه مكانٌ، فكأنَّ هؤلاء نفذوا في هذا الأصل الذي ذهب إليه المَرِيسِيُّ، فصار لهم هذا المُعتقد الفاسد حالًا ومشهدًا، حيث كان في جَهْمٍ والمَرِيسِيِّ مُعتقدًا، فلو فرضنا شخصًا عرف فساد ما ذهبوا إليه، وكونه سُبحانه بائنًا[1] من مخلوقاته بذاته وصفاته: صار بينه وبين الاتِّحاد قَدْرٌ مُميَّزٌ[2]، بعد أن كان بينه وبينهم قَدْرٌ مُشتركٌ من اللَّفظ بالشَّهادتيْن والصَّلاة، فرُبَّما أنكرهم إذا عرف الحقَّ وأبغضهم ولم يُمكنه مُلابستهم، وأبغضوه أيضًا؛ لظُهُور القَدْر المُميَّز في عُمُوم الإسلام ـ الظَّاهر من الإسلام ـ وكمال أركانه في المُعتقد والعمل.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (بائن).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (قدرًا مُميَّزًا).

فصلٌ

ولو فرضنا ذلك المُسلم بعينه الذي تلفَّظ بالشَّهادتيْن ـ فكان بينه وبين عُموم النَّاس من أهل الشَّهادة قَدْرٌ مُشتركٌ ـ اقتبس من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ معرفة فضل الصَّحابة والعشرة، وامتياز الشَّيْخيْن الصِّدِّيقيْن أبي بكرٍ وعُمر على غيرهم من الصَّحابة مزيد الإيمان والعلم والعمل والقُرْب من الرَّسول ﷺ في الحال والقَدْر، وعرف صحَّة خلافتهما وإجماع الصَّحابة على ذلك ـ وإجماعهم يستحيل معه الخطأ ـ، وعلم فضل عائشة والنُّصوص الواردة في فضلها وبراءتها.

وعرف أيضًا أنَّ الخير والشَّرّ يجري على القَدَر بهما، والعبد مع ذلك مُكلَّفٌ يُجازى على الأعمال بالثَّواب والعقاب، وإن كانت من قَدَر الله، ويكون الخير على كسب العبد وحركة جوارحه، وإن كان منشأ ذلك كُلِّه من القَدَر.

ويعرف وُجوب الجُمعة والجماعة ـ إذ الجماعة واجبةٌ عند أحمد رضي الله عنه، وعند الشَّافعيِّ رضي الله عنه سُنَّةٌ مُؤكَّدةٌ لو اجتمع أهل بلدٍ على تركها قُوتلوا، وأمَّا وُجوب الجُمعة وكونها فرض عيْنٍ[1]: فمُجمَعٌ عليه ـ، فإذا عرف هذا الشَّخص المُقرُّ بالشَّهادتيْن هذه الأشياء واعتقدها: اقتضى منه الاعتقاد أعمالاً ظاهرة لمحبَّة أهل السُّنَّة، والرِّضا عن الصَّحابة، والمُسارعة إلى الجُمعة والجماعة، والاستعاذة بالله من سُوء القضاء، فيبقى بهذه العقائد والأعمال مُفارقًا للرَّافضة مُتميِّزًا عنهم، وإن اجتمع الكُلُّ على كلمة التَّوحيد لا إلٰه إلَّا الله، مُحمَّدٌ رسول الله، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[2].

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ: في فرضيَّة الجُمعة).

(٢) سُورة آل عمران: الآية ١٩.

فصلٌ

ولو فرضنا هذا المُسلم الذي نطق بالشَّهادتيْن استخرج من النُّصوص الشَّرعيَّة الثَّابتة عن رسول الله ﷺ أحاديث الصِّفات، وعرف نَفَس الصَّحابة وتابعيهم وأئمَّة الحديث فيها ـ من النُّقول الثَّابتة عنهم ـ، وأيقن بقلبه بأنَّ الله عزَّ وجلَّ عالٍ على مملكته مُستوٍ على عرشه قديرٌ عليمٌ سميعٌ بصيرٌ، ذو[١] السَّمع، السَّميع والبصير، واليديْن والقبضتيْن والوجه الكريم، ذو[٢] الجلال والإكرام، ينزل إلى سماء الدُّنيا كما يشاء ويعجب[٣] ويفرح ويضحك ويرضى ويغضب، كُلُّ ذلك كما يليق بجلال الله وعظمته، فيُثبتها العبد كما يليق بعظمة جلال الله بحقائقها ومعانيها المفهومة عندنا على ظواهرها اللائقة بالله عزَّ وجلَّ: لصار بينه وبين الذين يُحرِّفون الكلم عن مواضعه ويُعطِّلون ذلك بالتَّأويل والتَّحريف قَدْرٌ مُميَّزٌ، فإنَّهم يُعطِّلون الاستواء استيلاء، والنُّزول بنزول[٤] الأمر، واليديْن يد النِّعمة والقُدْرة؛ فرُبَّما مقتهم ومقتوه، وأبغضهم وأبغضوه، وإن اشترك الجميع في الشَّهادتيْن وأعمالها.

ولو فرضنا هذا المُسلم الذي شارك النَّاس في النُّطق بالشَّهادتيْن تفقَّه في الدِّين، وعرف المداخل والمخارج، وردَّ الحوادث إلى الأُصول، وعرف تفاصيل ما يجب وما يحرم وما يُكره وما يُسنُّ وما يُستحبُّ، واقتضى منه علمه بذلك التَّمسُّك بالدِّين والتَّباعد من المكاره[٥] وإقامة الأوامر والمندوبات والسُّنن: امتاز بذلك عن جُهلاء المُسلمين وعامَّتهم، الذين لا اعتناء لهم

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (ذا).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (ذا).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (تعجب).
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة: (بزول).
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة: (المكاره والمكاره).

بالشَّريعة، ولا بحمل أثقالها، وإنَّما يتمسَّكون من الدِّين بأشياء ظواهر في أوقاتٍ تسهل عليهم؛ إذ فيهم من لا يُصلِّي إلَّا أحيانًا، أو في رمضان خاصَّة، بل فيهم من لا يترك الجُمعة في رمضان، وليس بينه وبين التَّراويح مُعاملةٌ، يُمكن أن يُوجد فيهم من لم يُصلِّ التَّراويح عُمره، فضلاً عن المُواظبة عليها، ومثل هذا الجنس في تاركي الصَّلاة إلَّا قليلاً، وفيهم من قد اعتاد الفواحش المُحرَّمة حتَّى صارت كالغذاء له لا يستطيع أن يُفارقها، ولا يجد في قلبه النُّفرة عنها، ورُبَّما فرح إذا قضى نهمته منها، فإذا اجتمع النَّاس وأنكروا على شخصٍ آخر ذلك الفعل بعينه ولعنوه: شاركهم في تقبيحه ولعنة فاعله بصدقٍ، فذلك لأنَّ هذا الإنكار يقتضيه دينه وعمله، كذلك الفاحشة يقتضيها[1] طبعه، فطبعه مُخالفٌ لدينه، والصِّدِّيق من صار طبعه مُطابقًا لدينه، لا يُحبُّ بطبعه ما يأباه دينه؛ فهُو يُحِبُّ ما أحبَّ الله، ويُبغض ما أبغض الله.

ولو فرضنا هذا المُسلم المُقرَّ بالشَّهادتيْن عرف الأمر والنَّهي علمًا واعتقادًا وإن لم يكن به عاملاً: لامتاز بمُجرَّد العلم دُون العمل عن مُعظم العامَّة باعتقاده وعلمه، فإنَّ القلب مُصبغٌ بالعلم والاعتقاد وإن لم يكن عاملاً، فتنتقش الوحشة فيه من ارتكاب المناهي وإن ارتكبها، والأُنْس بفعل الأوامر وإن تركها، فيبقى بينه وبين العاميِّ الجاهل بالعلم والاعتقاد قَدْرًا كثيرًا مُميَّزًا، وإن اشتركا في ترك الطَّاعات وارتكاب المناهي، فإنْ تحمَّل أثقال الشَّريعة فعلاً وتركًا: فيبقى بينه وبينهم من القَدْر المُميَّز أكثر وأوفر، رُبَّما استوحش من رُؤيتهم وكلامهم، فضلاً عن مُعاشرتهم، ورُبَّما أبغض حركاتهم وأنكرهم، ورُبَّما أبغضهم وأبغضوه لمُخالفته لهم علمًا وعملاً، ولإنكاره عليهم، فهل ذلك إلَّا لظُهُور القَدْر المُميَّز الفارق بينه وبينهم؟! وإن جمعهم الإسلام والعلم وكلمة التَّوحيد.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يقتضيه).

فصلٌ

ولو فرضنا هذا المُسلم المُقرَّ بالشَّهادتيْن الذي بينه وبين جميع الفِرَق قَدْرٌ مُشتركٌ عرف طريقة الرَّسول ﷺ من سيرته وسُنَّته، ووصلت دعوة الرَّسول ﷺ إلى قلبه بحيث انفتح القلب إلى وحي السَّماء، وانتبه أيضًا لصاحب الوحي وعرف أسرار الدَّعوة ومُراد الرَّبِّ عزَّ وجلَّ من العباد، وانكشف للقلب ما يُحبُّه ويرضاه من الأعمال وما يكرهه ويسخطه منها، وشرب القلب حلاوة السُّنَّة وطرب إلى الاستماع إلى القُرآن والحديث، وصار له في الحديث مشهد النُّبوَّة، يشهد صاحبها فيه بكمال صفاته ومُعجزاته وبواهر آياته، فيألفه ويُحبُّه ويتَّبعه قَدَمًا قَدَمًا، وصار له في الكتاب العزيز مشهد الإلٰهيَّة والرُّبوبيَّة، يشهد المولى العظيم من فوق عرشه قد أنزل كتابه على رسوله ﷺ، يأمر وينهى، ويُخوِّف ويُرجِّي، ويُرغِّب ويُرهِّب.

ثُمَّ أوقفه الله تعالى على طبقات الأُمَّة إلى القرن الذي هُو فيه، وعرف مناهجهم ومذاهبهم، وعرف منهم أشخاصًا بزيادة محبَّتهم لقُربهم من السُّنَّة، وأبغض آخرين لبُعدهم عنها، واتَّضحت طريقه إلى الله وإلى معرفته ومعرفة رسوله، فصارت أضوء من النَّهار، يُشرق على قلبه مشاهد العظمة، ويعرف الأنبياء والرُّسل صلوات الله عليهم بعُلُوِّ منزلتهم ومكانتهم من ربِّهم العظيم الذي أرسلهم ونبَّأهم، ويُحبُّهم في الله، ويرى ما اكتنفهم من الأنوار الإلٰهيَّة وما خُصُّوا به من القُرْب الأعظم، فإنَّه ضرورة يبقى بينه وبين أهل الطَّريق المُنحرفة قَدْرًا مُميَّزًا فارقًا، وإن وقع الاشتراك في اللَّفظ بالشَّهادتيْن والدُّخول في عُموم أحوال أهل السُّنَّة من الجُمعة والعيد والصَّوم والفطر، وهُم طوائف أعرضوا عن طريقة الرَّسول ﷺ، وأعرضوا عن تعرُّفها وعن السُّلوك فيها، واتَّخذوا طريقة شيخٍ مُعيَّنٍ فحذوا حذوه، وأخذوا لنُفوسهم ما أخذه، فجعلوا حركاته وأعماله وعاداته وعادات أصحابه سُننًا معروفة يُعرضون عمَّا سواها ولا يعرفون غيرها، فمنهم من اتَّخذ السَّماع عبادة

ودَيْدَنًا[١]، والاجتماع عليه شعارًا، يتأكَّلون به الجُهَّال والغفلة الفلاحين، ويدخلون على الظَّلمة ويُداهنونهم لما يرجوه من نوالهم، لا يُنكرون على من صحب الأحداث، ويرون أكل الحيَّات من كرامات شيخهم، ودُخول النَّار على رُؤوس الملأ أيضًا يعدُّونها كشيخهم كرامة يُباهون النَّاس ويفتخرون عليهم بذلك، لا يُفرِّقون بين الحلال والحرام، ويقعون في الحرام مع الدّعوة بأنَّهم أهل القطع والوصل، ولم تصل الدَّعوة المُحمَّديَّة إلى قُلوبهم ولا باشرها بركة الوحي السَّمائيِّ، يُروِّجون على عُموم النَّاس بما يُظهرون من الزِّيِّ والاجتماع على رَوْسٍ[٢] لهم يَصْدِمُون به الأُمراء وأهل العطاء يتأكَّلون بذلك، فيتميَّز عنهم من باشر قلبه الوحي السَّمائيُّ والأثر النَّبويُّ امتيازًا بيِّنًا، ورُبَّما أبغضهم وأبغضوه، ومقتهم ومقتوه، ورأوه ضدًّا وغيْرًا، ويراهم كذلك، هذا وإن شاركوهم في كلمة التَّوحيد وقول لا إلٰه إلَّا الله، فيتميَّز عنهم بذلك.

فصلٌ

ولو فرضنا هذا المُسلم المُقرَّ بالشَّهادتيْن حصَّل العلم الشَّرعيَّ ثُمَّ توجَّه إلى العمل به وحَمَلَ أثقاله وأعباءه[٣] وكَلَفٍ من إيجابٍ وندبٍ وتحريمٍ وكراهيةٍ، فقبضه ذلك عن كثيرٍ من الأشياء اشتغالاً بحُدود الله وأمره ومُجانبةً نهيه، فلم يدعه الورع أن يتبسَّط في المأكل والملبس والمدخل والمخرج والمُعاشرة، فضلاً عن الرُّكوع لأهل المناصب مع المشي عند لقائهم إلى القهقرى راكعًا ومُعتدلاً، ثُمَّ راكعًا ومُعتدلاً، إلى أن يعلم أنَّ نفس المخضوع له قد رضيت وأخذت ما يستحقُّه من الخاضع من العبادة، ورُبَّما أورثه الورع

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ: فمنهم من اتَّخذ).

(٢) أي: كثرة أَكْلٍ.

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (أعبايه).

لُبْسَ الخشن وأكله، وشُحوب اللَّون وغير ذلك ممَّا يُورث الصِّدق في المُعاملة للصَّادقين مع الله، فإنَّ هذا الشَّخص قطعًا يبقى بينه وبين الفُقهاء الذين هُم أوعية العلم الذين نَهْمَتُهُم تحصيل العلم، ولا نَهْمَة لهم بالتزام أحكامه، يجمعون العلم صحيحه وسقيمه من كُلِّ علمٍ يرفعهم في الدُّنيا ويُقرِّبهم من المُناظرة والمُغالبة بحقٍّ وغير حقٍّ، يتكالبون على المناصب والرِّفعة، يُوسِّعون الأكمام ويدلون للنُّفوس أذنابًا يُلقِّبونها عَذَبَاتٍ، يبقى بين العامل وبينهم بوْنًا كثيرًا، ورُبَّما مقتهم ومقتوه، واستوحش منهم واستوحشوا منه، هذا وإن اشتركوا في العلم والنَّقل وبعض الأعمال الظَّاهرة وكلمة لا إله إلَّا الله، فيمتازون عنهم بذلك العمل الذي تقدَّم شرحه.

فصلٌ

ولو فرضنا هذا المُسلم المُقرَّ بالشَّهادتيْن اقتبس من الكتاب والسُّنَّة علم الخوف ومعرفة الآخرة والانتباه لإصلاح الحال مع الله عزَّ وجلَّ ليلقاه في الآخرة بوجهٍ أبيض، فعمل على إكمال المُحاسبة والمُراقبة ورعاية الحركات والخطرات لمُراقبة جبَّار السَّماوات، فصارت همَّته مُتجرِّدة على إرضاء الرَّبِّ عزَّ وجلَّ بكُلِّ مُمكنٍ من قولٍ وفعلٍ وحركةٍ وهمَّةٍ وخاطرٍ، فاستبدل بذلك عوض الشَّبع تقلُّلاً، وعوض الإسراف اقتصادًا، وعوض التَّزيُّن بالظَّاهر في اللِّباس تزيُّن الباطن بالصِّدق والإخلاص، وحاسبت[1] نفسُه جوارحه السَّبع: العين والأُذن واللِّسان والبطن والفرج واليد والرِّجل، فرعى ألفاظه فلا يتكلَّم بما يكرهه الله عزَّ وجلَّ، ورعى نظره فلم ينظر إلى ما حرَّم الله، وحفظ بطنه عن أكل الحرام والشُّبهات، وكذلك فرجه ويداه وسائر جوارحه، ورُزق حلاوة المُعاملة مع الله عزَّ وجلَّ والأُنس به:

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (حاسب).

لصار بينه وبين أهل الزِّيِّ الظَّاهر والمُرتسمين به قَدْرٌ مُميَّزٌ[١]، وهُم المُشتغلون[٢] بتحسين المُرقَّعات، ووضاء الصُّورة والهيئات، فهُم خُدَّام ثيابهم ونعالهم، يهتمُّون بتبديلها إذا خَلَقَتْ[٣]، وبنقائها إذا تدنَّست، ورُبَّما بيَّضوا نعالهم بالإسفيذاج[٤] ليعلوها البياض، هممهم مصروفة إلى حُسن المُعاشرة وإظهار صُورة الفقر مع التَّخلِّي عن عمارة الباطن، ورُبَّما كانت صُورة الفقر دُكَّانًا يستجلبون الفُتوح بهم فهُم بها مُهتمُّون، ورُبَّما كانوا عن قُصود أهل العزائم والصِّدق مُعرضين، فيبقى بين المذكور وبينهم بوْنًا كثيرًا وفَرْقًا مُستبينًا، هذا وإن اشترك الجميع في اسم الفقر والسُّلوك والتَّلفُّظ بالشَّهادتيْن فهُو يمتاز عنهم بما شُرِح، فرُبَّما استثقلوه واستوحشوا منه واستبُّوه، ورُبَّما مقتهم هُو لخُلوِّهم عن قُصود أهل الحقائق وعملهم، فمقتوه هُم أيضًا، فيعرفهم ولا يعرفونه، يعرفهم بما يبدو عليهم من الهوى والهزليَّات والزَّوائد والمُداعبة والمُجون والاشتغال بتعظيم أهل الدُّنيا وقُوَّة الانجذاب إليهم ومُؤانستهم ومُشاركتهم في حوادثهم ونوازلهم، فيستدلُّ بذلك على خُلُوِّ بواطنهم عن هُموم الآخرة والاستعداد لها، فهُم عَوَامٌّ قد تكيَّفوا بكيفيَّةٍ ظاهرةٍ من الزِّيِّ وحُسْن السَّمت، ولهُم مع ذلك دَعَاوَى بأنَّهم وأنَّهم، فيمتاز المذكور عنهم بما تقدَّم شرحه.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (قدرًا مُميَّزًا).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (المُشتغلين).

(٣) أي: بَلِيَتْ.

(٤) أي: الصِّبغ، وهُو مُتَّخذٌ من رماد الرَّصاص، يُحرق ثُمَّ يُسحق ويُطلى به ليُكسب المصبوغ اللَّون الأبيض.

فصلٌ

ولو فرضنا هذا الشَّخص المُقرَّ بالشَّهادتيْن اقتبس من الكتاب والسُّنَّة عُبُوديَّة الله عزَّ وجلَّ وتألُّهه وإخلاص العبادة والعُبُوديَّة له، بحيث شهد أن لا نافع ولا ضارَّ ولا مُعطي ولا مانع إلَّا الله عزَّ وجلَّ، فأخلص التَّوحيد لمولاه قَدْرًا، وأقام بالأوامر شَرْعًا، وكان الله عزَّ وجلَّ غالبًا[١] على أمر العبد وكيفيَّته، وصار العبد عبدًا لمولاه في الأمر والنَّهي، عبدًا لمولاه بالرِّضا لأحكامه، فلا يُريد غير هذا إذا وافقت الشَّرع، فامتحا عن قلب العبد تألُّه نفسه بذهاب مُرادها وامتحائه في مُراد الحقِّ عزَّ وجلَّ، وذهب عنه مُراده في الاستحسان والاستقباح والعمل إلَّا بما استحسنه الشَّرع واستقبحه وأمر به، فصار عبد الرَّبِّ لا عبد النَّفس، مُنفردًا في عُبُوديَّته، فمثل هذا يبقى بينه وبين أهل الزِّيِّ الظَّاهر العاكفين[٢] على الرُّسوم قَدْرًا مُميّزًا وإن اشترك الجميع في كلمة التَّوحيد والانتساب إلى السُّلُوك والتَّوجُّه، فإنَّ أحدهم عاكفٌ على ما وضعته الطَّائفة من الاصطلاح الرَّسميِّ.

قد اصطلحوا أُمورًا في الدُّخول والخُروج والقُعود والشَّكل واللُّبْس والعمائم، يرون مُخالفة ذلك مُنكرًا كالمعصية، إن صلَّى في أفضل الأماكن عتبوا عليه، يدع أحدهم الجامع ويروح إلى جماعتهم ولا يطلب بذلك الفضيلة بل مُراعاة الرَّسم وشرط الواقف، ولهُم مواضع مُعيَّنة في الصَّفِّ تُخلّى بخُلُوِّ صاحبها أحيانًا فلا يُصلِّي فيها غيره، ورعاية الهيئة الاجتماعيَّة، يُراعُون الذُّقُون الكبار والبياض فيها أكثر من الذُّقون الصِّغار، ويُراعُون ذا الهيئة من الملابس الوضيعة كالمزدوجة الرَّفيعة والسِّجَّادة الرَّفيعة أكثر من مُراعاة من اشتغل بباطنه عن ظاهره وبعباداته عن عاداته، أُولئك ليسوا عندهم بطائلٍ.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (غالب).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (العاكفون).

رضا الجماعة والشَّيخ والخادم عندهم كرضا الحقِّ، يُراعونهم بكُلِّ مُمكنٍ ولو في الباطل، ويُراعون من يدخل على الأُمراء أكثر من مُراعاة من يُحِبُّ الخُمُول وأَبْغَض الشُّهرة، يُحبُّون ظُهُور هيئتهم للعوامِّ في الجُمُعات والجماعات، ففي قُلُوبهم أصنامٌ كثيرةٌ لا تَخْلُص العبادة لله إلَّا بكُفرها والإعراض عنها، فيمتاز الرَّجل الأوَّل عنهم بفَرْقٍ كثيرٍ وبوْنٍ عظيمٍ وإن شاركهم في الشَّهادتيْن والجُمعة والسُّلُوك والتَّوجُّه، فرُبَّما مقتوه ومقتهم، واستوحش منهم واستوحشوا منه، لما بينهم وبينه من القَدْر المُميَّز الفارق، فإذا أخلص العبادة لله عزَّ وجلَّ لا يستطيع أن يعبد غير الله من رسمٍ ولا اصطلاحٍ ولا شرطِ واقفٍ، فلا يجعل شرط الواقف كأمر الله عزَّ وجلَّ يُراعيه ويُجاهده لما ينال به من الرِّفق، وهذا ليس من أعمال السَّلف المُخلصين، ويبقى بينهم كالمُشرك الذي يعبد الله ويهتمُّ بغير أمره، فيبقى همُّه مُنقسمٌ بين عبادة الله تعالى وعبادة غيره، فتبقى الرُّسوم في القلب مُزاحمة لأوامر الله تعالى، تُراعى كما تُراعى، ومن لا تتجرَّد[1] ربَّانية أمر الله تعالى على قلبه لا يكون من المُخلصين.

فصلٌ

ولو فرضنا هذا المُسلم المُشار إليه شارك النَّاس في الشَّهادتيْن، تلبَّس بعلم الكتاب وفقه الدِّين والسُّنَّة، وعامل الله عزَّ وجلَّ باتِّباع أمره واجتناب نهيه، وصَدَق الله في المُعاملة؛ فوصل تقواه إلى باطنه، فأشرف على دسائس النُّفوس وآفاتها من الكِبْر والعُجْب والرِّياء والسُّمعة والخُبث والحسد وطلب العُلُوِّ والمنزلة وحُبِّ الدُّنيا وحُبِّ الجاه، فاستحيا من الله عزَّ وجلَّ في ضميره وخافه واتَّقاه في هُمومه وخواطره، فلم يبرح قوّامًا على قلبه مُراقبًا لمولاه

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يتجرَّد).

حتَّى صفا وصار قلبه كالسَّماء صافيًا مُزيَّنا بنُجُوم العلم، فائضًا[١] بخالص الذِّكر، قد حكَّم تقوى ربِّه في جوارحه الظَّاهرة ثُمَّ اتَّقاه في خواطره الباطنة، فصار بينه وبين العُبَّاد والزُّهَّاد قَدْرٌ مُميَّزٌ فارقٌ[٢] بينه وبينهم، وإن اشتركوا في الإسلام وأعماله والتَّوجُّه إلى الله تعالى، فهُم قومٌ أصلحوا ظواهرهم وتوجَّهُوا إلى ربِّهم ولم يتنبَّهُوا لدقائق اليقين وخفايا آفاتها، فآفات النَّفس مُتصرِّفة فيهم، يُبغض أحدُهم لغير الله ويغضب لحظِّ[٣] نفسه إذا زاد عليه بالحقِّ، في نفسه أنَّه خيرٌ من غيره، ويحتقر المُسلم برُؤية أعماله ويَدِلُّ[٤] على ربِّه، ويَتَخَيَّر على ربِّه الأُمور والأحوال، ورُبَّما قال: ربِّ افعل بفُلانٍ كذا وكذا، أو اقتل فُلانًا، بمُجرَّد إساءة بدت منه إليه، غائبٌ عن منن الله تعالى وسِتْرِه عليه قبيح أعماله، كُلَّما تذكَّر صيامه وقيامه أقام صدره وتحيَّر على ربِّه، لم يتحقَّق بالانكسار الذي تقتضيه[٥] العُبُوديَّة بين يدي الرُّبُوبيَّة، فهُو خاشع الظَّاهر غير خاشع الباطن، دعواه على طرف لسانه، وفي الجُملة فيبقى بين من أصلح الباطن وبين من اقتصر على إصلاح الظَّاهر دُون الباطن قَدْرٌ ظاهرٌ وبوْنٌ مُميَّزٌ، فإنَّ من أصلح الباطن فقد أثار العُبُوديَّة إلى قلبه بعد وُصُولها إلى جوارحه؛ فاستقام ظاهرًا وباطنًا، وصار بارًّا ظاهرًا وباطنًا، بخلاف من ظهر البرُّ على جوارحه ولم يتحقَّق به باطنه، هذا وإن شاركه في كلمة الشَّهادة وظواهر أعمال الإسلام من الصَّوم والصَّلاة فقد فارقه بأُمورٍ كثيرةٍ.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (فائض).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (قدرًا مُميَّزًا فارقًا).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (لحض).
(٤) أي: يمنُّ بعمله.
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة: (تقتضيها).

فصلٌ

ولو فرضنا هذا المُسلم المُتلفِّظ بالشَّهادتيْن ما أخلص لله في المُعاملة[١] وصفا قلبه من كدر النَّفس وأشرق بأنوار الذِّكر، انكشف لقلبه أنوار صفةٍ من الصِّفات بحيث دامت[٢] شهادته لربِّه بواسطتها من صفة العُلُوِّ والحياة والسَّمع والبصر أو الإرادة أو العلم أو القُدْرة أو الوجه الكريم ذي[٣] الجلال والإكرام أو غير ذلك من الصِّفات، فخلص إلى قلبه أوطان القُرْب وفسحات التَّوحيد من الأكوان: لكان بينه وبين من لم يُكشف له الحجاب ـ وكان حظُّه مُجرَّد الباطن بالذِّكر واستقامة الباطن على الأمر ـ من صُلحاء الفُقهاء الذين لم يذوقوا طُعُوم هذه الأشياء، ورُبَّما أنكروها ولم تبلغ حالهم إلَّا مُجرَّد العلم والعمل به، ويرون ما فوق ذلك بدعًا أُحدثت لم يتكلَّم السَّلف فيها، ومن صُلحاء العُبَّاد وأهل التَّصفية أيضًا تميُّزًا ظاهرًا وفَرْقًا بيِّنًا، وإن شاركهم في كلمة التَّوحيد وأعمال أهل الإيمان الظَّاهرة والباطنة والتَّوجُّه إلى الله عزَّ وجلَّ، فقد فاتهم تفصُّلٌ كثيرٌ وحالٌ جليلٌ، صار بحيث لا يُحجب عن صفات مليكه، متى توجَّه وجده بواسطة ذلك الوصف والصِّفات، كما قيل[٤]:

إذا اشتقتكُم طالعت قلبي فإنَّه على القُرْب والإبعاد دومًا يراكُمُ

فصلٌ

ولو فرضنا هذا المُكاشَف بالصِّفات رَاضَ نَفْسَه بين يدي خالقه بمحو التَّدبير والاختيار، فَرَضِيَ بمحو التَّدبير والاختيار، ورَضِيَ بمحض تدبير

---

(١) أي: بالغ في إخلاص المُعاملة لله تعالى.

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (دام).

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (ذا).

(٤) لم أقف عليه.

الله عزَّ وجلَّ واختياره إذا وافق أمره وصار عبدًا لله في الظَّاهر والباطن فهُو يقوم به، وفي قَدَره فهُو يرضى به: لكان بينه وبين من شهد الصِّفات ونفسه قائمةٌ مُتخيِّرةٌ، تتخيَّر على ربِّها الأحوال والمقامات ترفُّعًا طلبًا لرفعة النَّفس وتكميلها، فتلك الإرادة تحجب قلبه عن رُؤية تدبير الله عزَّ وجلَّ لعبده، وحُسن اختياره له، ومُراده له ومنه؛ فبين الرَّجليْن فرْقٌ ظاهرٌ وبوْن عظيمٌ، وإن اشتركا في التَّوحيد الظَّاهر والباطن وأعماله.

فصلٌ

ولو فرضنا هذا العبد البارَّ المُكاشَف بالصِّفات القائم بوظيفة العُبُوديَّة رقَّاه الله عزَّ وجلَّ إلى محبَّته الخاصَّة المُلهبة للأفئدة فعَلِقَتْ[1] رُوحه به وجذبها إليه، ولو كُوشف بالأمر الكُلِّيِّ الجامع لجميع الأسماء والصِّفات، فامتلأ بذلك القبض واتَّسع وخرج إلى فُسحة التَّوحيد ومُشاهدة الفردانيَّة المُتَّصفة بالجلال الذَّاتيِّ والإكرام السَّرمديِّ، وصار المُجْذِب قريبًا إلى رُوحه، لو توارى عنه طرفة عيْنٍ لانطبقت عليه انطباقًا، فحجابه غُمَّةٌ، وكشفه عن وجه محبوبه فرحةٌ، لا يُريد من الدُّنيا والآخرة سواه، ولا يعبد إلَّا إيَّاه؛ صار المحبوب لمحبوبه جليسًا، وله في سائر الأحوال أنيسًا، وعليه مُطَّلِعًا رقيبًا إلى العيان، يعبد الله عزَّ وجلَّ بتكوين الأحوال لقلبه الصَّارخ تحت العرش، ولصدره أزيزٌ كأزيز المرجل من غليان قلبه بالمحبَّة والتَّعظيم والهيمان والتَّشوُّق إلى العيان: لكان بينه وبين صاحب الصِّفات والاستسلام قَدْرٌ مُميَّزٌ فارقٌ وإن شاركه في كثيرٍ من الأعمال والمُشاهدات والأحوال.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (فعلق).

فصلٌ

ولو فرضنا عبدًا جذبه الله عزَّ وجلَّ إليه جَذْبًا، وقرَّبه وأدناه، وآنسه وناجاه، يُعْرِض فيُطْلَب، ويجفو فيُواصَل، ويجني فيُعتب ويُعذر، يُراد له ما لا يُحسن أن يُريده لنفسه، ويُدبَّر في معيشته وأحواله بالرّأفة والرَّحمة واللُّطف، خرجت له المحبوبيَّة من خزائن اللُّطف والمنَّة[١] وبعدها إلى أطوار السُّلُوك، وسُخِّرت له العُلماء والمُؤدِّبون، وهُذِّب وأُدِّب، وطُهِّر ونُقِّي، وعُوِّد وسُجِّع[٢]؛ فتمَّت ولاية الله عزَّ وجلَّ له: لكان بينه وبين المُحِبِّ السَّائر إلى الله عزَّ وجلَّ بالمُجاهدة والمُكابدة والمُحاسبة والرِّعاية ـ الذي ترد عليه الأُمور وهُو يقتحم فيها، يُسار به كمن يجري على وجهه في الشَّوك والوَعْر، هذا يلطمه، وهذا يحقره، وهذا ينهره، وهذا يخذله، وهذا ينظره شَزْرًا[٣]، وهذا يندمه على فوت الدُّنيا ويُوبِّخه بطلب الفَوْت فلا يجده، يسأل أحيانًا ويكتسب أحيانًا حتَّى تطول[٤] مُدَّته فيرى بعد ذلك طريقه وسبيله، ويحفظه الله فلا يرجع القَهْقَرَى، حتَّى يقع في ميدان المحبَّة المبدوء بذكره ـ ما كان بينه وبين الأوَّل المحبوب فَرْقًا عظيمًا وبوْنًا ظاهرًا مُستبينًا.

وقد جمع الله لك في هذا الجُزء جُملاً تُبَاين أهل الإسلام في درجاتهم ومقاماتهم، كُلُّ فرقةٍ بأيِّ عملٍ ارتفعوا وتميَّزوا به على من دُونهم في الدَّرجة؟ وبأيِّ تقصيرٍ انحطُّوا عمَّن فوقهم؟ وهذا ميزانٌ تزن به نفسك، فتنظر في أيِّ الأقسام أنت؟ ولِتَرَى ما فيك من النَّقائص الخاطر لأهلها فتنتقل عنها، وترى ما فيك من الفضائل المُرقِّية لك فتشكر الله عليها.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (اللُّطف المنَّة).

(٢) أي: سُوِّيَ وأُقيم.

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (شررًا).

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يطول).

فصلٌ

فانظر رحمك الله؛ كيف فارق المُعْتَقِدُ لأحكام الإسلام، الخائف من انتهاك الحُرمات ـ وإن قصَّر في بعض الأوامر بتركها، وفي بعض النَّواهي بارتكابها ـ التَّتار باستهانتهم بأحكام الإسلام ورُجوعهم إلى الياساق؟

وكيف تميَّز من أثبت انفراد الحقِّ عزَّ وجلَّ بذاته وصفاته واعتقد بينونته من خلقه عن أهل الاتِّحاد؟

وكيف يتميَّز العارف بفضائل الصَّحابة وبتسليم الأقدار إلى الله تعالى خيرها وشرِّها، وأيقن[1] بوُجُوب الجُمُعة والجماعة على الرَّافضة؟

وكيف تميَّز الفقيه في دينه ـ وإن لم يكن عاملاً بعلمه ـ عن الجاهل بالعلم ـ وإن اشتركا في عدم العمل ـ عن جهلة العوامِّ، كيف التَّاركين للعمل من أهل السُّنَّة؟

وكيف تميَّز العارف بالرَّسول ﷺ من السِّير والمغازي والمُعجزات والكرامات والسُّنن؛ المُحبُّ له، المُتَّبع لطريقه وطريقة أصحابه عن الفُقراء أهل الأحوال المُنحرفة والبدع المُحدثة المُعرضين عن الشَّريعة وصاحبها، المُقبلين على طريقة شيخهم وأصحابهم؟

وكيف تميَّز صاحب المُعاملة والاجتهاد من الفُقهاء عمَّن طلب الدُّنيا بالعلم فأكلها بالدِّين، أهل المُداهنة والتَّكالب على المناصب؟

وكيف تميَّز أهل الإخلاص وإصلاح الباطن عن أهل الزِّيِّ والمُرقَّعات الحسنة والجماجم البيض؟

وكيف تميَّز الذين وَقَرَتْ ربَّانيَّة الحقِّ في قُلُوبهم وعبادته من عبادة

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (وأتقن).

الرُّسُوم ومُراعاة الوظائف واصطلاح مشايخهم في الهيئات الوضيعة والآصار والأغلال البدعيَّة التي لا يُراد الله عزَّ وجلَّ بها، فقد صارت آلهتهُم وأصنامهم في العُكُوف عليها، وذمِّ من أعرض عنها، وتعظيم من قام بالرَّسم وتوقيره وتبجيله؟

وكيف تميَّز أهل الذّوق ومُشاهدة الصِّفات عن أهل الخُمُود والحبس في مضايق الكون من الفُقهاء والعُبَّاد؟

وكيف تميَّز صاحب العُبُوديَّة عن صاحب التَّدبير والاختيار؟

وكيف تميَّز صاحب المحبَّة الخاصَّة المُلهبة للباطن عمَّن لم يبلغ ذلك وكان قلبه باردًا؟

وكيف تميَّز المجذوب المحبوب عن السَّائر المحبوب بما تولاه مُولِّيه من الكرامة؟

فاعلم أنَّ الجميع يشتركون في الإسلام والتَّلفُّظ بالشَّهادتيْن، ولو سُئل أحدهم؟ قال: أنا مُسلمٌ، وأُبغض كُلَّ مَنْسِبةٍ[1] إلى غير الإسلام، ومع ذلك فقد يشتركُون في ظواهر الأعمال من صوم رمضان والحجِّ والصَّلاة وغير ذلك.

فانظر رحمك الله؛ كم بين طبقاتهم من التَّفاوت العظيم صُعُودًا وانحطاطًا، واستقامة وانحرافًا؟

ونسأل الله العظيم أن يجعلنا ممَّن سلك أعلى المراتب من الإيمان، وحقَّقنا بفضله وكرمه بحقائق اليقين والعرفان، إنَّه الحَّنان المَّنان، ذُو الفضل والإحسان.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (لمنسبة).

آخر ما تيسَّر من هذا الكتاب، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدِّين[١].

❑❑❑

(١) كان الفراغ من تقييد التَّعليق، وتمام الختام من هذا التَّحقيق: في مُحافظة العقبة، في المملكة الأُردنيَّة الهاشميَّة، في يوم الأحد ١٢ رجب ١٤٣٥هـ؛ الموافق ١١ مايو (أيار) ٢٠١٤م.

قيد القراءة والسماع في المسجد الحرام

قال العبد الفقير إلى غنى ربِّه العليِّ، وليد بن مُحمَّد بن عبد الله العليُّ: ختمت قراءة هذه الرَّسائل في مسجد الله الحرام، بعد فراغي من أداء العمرة وأنا مُتسربلٌ بالإحرام، وذلك في صحن حرم الله تعالى أفضل المساجد، ومهوى فُؤاد كُلِّ طائفٍ وعاكفٍ وراكعٍ وساجدٍ، عصر يوم الأربعاء ٢٥ رمضان ١٤٣٥هـ، المُوافق ٢٣ تموز (يوليو) ٢٠١٤م.

وذلك بمعيَّة الوالد الكريم مُحمَّد بن عبد الله العليِّ، أحسن الرَّبُّ تعالى في الدَّاريْن إليه، وأسبغ نعمه الظَّاهرة والباطنة عليه، وبحُضور الإخوة الأجلاء، ومُشاركة المشايخ النُّبلاء: الشَّيخ نظام بن مُحمَّد صالح يعقوبي، الشَّيخ مُحمَّد بن ناصر العَجْمِيُّ، الدُّكتور عبد الرَّؤوف بن مُحمَّد الكمالي، الشَّيخ هاني بن عبد العزيز ساب، الشَّيخ عبد الله بن أحمد التُّوم، وطيْفٍ من الأحباب، ولفيفٍ من الأصحاب، أحسن الله سُبحانه وتعالى إليهم جميعًا في منازل الدَّاريْن، وآتاهم من حسناتهما ما يطمئنُّ به القلب وتقرُّ به العيْن.

فالحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم على خاتم النَّبيِّين، وعلى آله الطيِّبين، وأزواجه المُطهَّرين، وأصحابه الغُرِّ الميامين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

❑❑❑

فهرس المراجع والمصادر العلميَّة

١ ـ **اعتلال القُلوب**: مُحمَّد بن جعفر الخرائطيُّ ـ تحقيق: حمدي الدِّمرداش ـ مكتبة نزار مُصطفى الباز (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م).

٢ ـ **الأعلام**: خير الدِّين الزِّركليُّ ـ دار العلم للملايين (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّامنة (١٩٨٩م).

٣ ـ **الإعلام بوفيَّات الأعلام**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ حقَّقه وعلَّق عليه: رياض عبد الحميد مُراد، عبد الجبَّار زكَّار ـ مطبوعات مركز جُمعة الماجد للثَّقافة والتُّراث بدُبي ـ دار الفكر المُعاصر (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م).

٤ ـ **أعيان العصر وأعوان النَّصر**: خليل بن أيبك الصَّفديُّ ـ تحقيق: مجموعة من المُحقِّقين ـ دار الفكر المُعاصر (بيروت/ لبنان)، دار الفكر (دمشق/ الجُمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م).

٥ ـ **الأنساب**: عبد الكريم بن مُحمَّد السَّمعانيُّ ـ تحقيق: عبد الله عُمر البارودي ـ دار الجنان (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٦ ـ **إيضاح المكنون في الذَّيل على كشف الظُّنون عن أسامي الكُتب والفُنون**: إسماعيل باشا البغداديُّ ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ (بيروت/ لبنان).

٧ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**: مُحمَّد مُرتضى الحُسينيُّ الزَّبيديُّ ـ تحقيق: مجموعة من المُحقِّقين ـ مطبوعات المجلس الوطنيِّ للثَّقافة والفُنون والآداب (الكُويت/ دولة الكُويت) ـ الطَّبعة الأُولى.

٨ ـ **تاريخ التُّراث العربيّ**: فُؤاد سزكين ـ نقله إلى العربيَّة: الدُّكتور/ محمود فهمي حجازي ـ مطبوعات جامعة الإمام مُحمَّد بن سُعود الإسلاميَّة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

٩ ـ **تذكرة الحُفَّاظ**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان).

١٠ ـ **التَّذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن عبد الجبَّار الفريوائيّ ـ دار العاصمة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ النَّشرة الثَّانية (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).

١١ ـ **تسهيل السَّابلة لمُريد معرفة الحنابلة**: صالح بن عبد العزيز آل عُثيمين البُرَديُّ ـ تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

١٢ ـ **تلقيح الأسرار بلوامع الأنوار للعُلماء الأبرار**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق وتعليق: الدُّكتور/ وليد بن مُحمَّد بن عبد الله العليّ ـ دار البشائر الإسلاميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م).

١٣ ـ **تهذيب اللُّغة**: مُحمَّد بن أحمد الأزهريُّ ـ تحقيق: مجموعةٌ من المُحقِّقين، تقدَّمهم وقدَّم له: عبد السَّلام مُحمَّد هارون ـ المُؤسَّسة المصريَّة العامَّة للتَّأليف والأنباء والنَّشر، الدَّار المصريَّة للتَّأليف والتَّرجمة (القاهرة/ جُمهورية مصر العربيَّة) ـ (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م).

١٤ ـ **توضيح المُشتبه**: مُحمَّد بن عبد الله الدِّمشقيُّ المعروف بابن ناصر الدِّين ـ تحقيق: مُحمَّد نعيم العرقسوسيّ ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

١٥ ـ **الدُّرُّ المُنضَّد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**: عبد الرَّحمن بن مُحمَّد العُليميُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن سُليمان العُثيمين ـ مكتبة التَّوبة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

١٦ ـ **الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثَّامنة**: أحمد بن علي بن حجرٍ العسقلانيُّ.

١٧ ـ **الدَّليل الشَّافي على المنهل الصَّافي**: يُوسف بن تغري بردي الأتابكيُّ ـ تحقيق: فهيم مُحمَّد شلتوت ـ مطبوعات مركز البحث العلميِّ وإحياء التُّراث الإسلاميِّ بجامعة أُمِّ القُرى (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة).

١٨ ـ **ديوان ابن الرُّومي**: عليُّ بن العبَّاس بن جُريْجٍ المعروف بابن الرُّوميِّ ـ شرح الأُستاذ أحمد حسن بسج ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لُبنان) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م).

١٩ ـ **ذيل العبر**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: مُحمَّد السَّعيد بن بسيوني زغلول ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان).

٢٠ ـ **ذيل تاريخ الإسلام ووفيَّات المشاهير والأعلام**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ عُمر عبد السَّلام تدمري ـ دار الكتاب العربي (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م).

٢١ ـ **الذَّيل على طبقات الحنابلة**: عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب البغداديُّ ـ دار المعرفة (بيروت/ لبنان).

٢٢ ـ **الرَّدُّ الوافر على من زعم بأنَّ من سمَّى ابن تيميَّة شيخ الإسلام كافر**: مُحمَّد بن عبد الله الدِّمشقيُّ المعروف بابن ناصر الدِّين ـ تحقيق: زُهير الشَّاويش ـ المكتب الإسلاميُّ (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٢٣ ـ **رفع النِّقاب عن تراجم الأصحاب**: إبراهيم بن مُحمَّد بن ضُويَّان ـ تحقيق: عُمر بن غرامة العمرويِّ ـ دار الفكر (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

٢٤ ـ **الرَّوض المعطار في خبر الأقطار**: مُحمَّد بن عبد المُنعم الحميريُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ إحسان عبَّاس ـ مكتبة لبنان (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٩٨٤م).

٢٥ ـ **سُنن أبي داود**: سُليمان بن الأشعث السِّجستانيُّ ـ حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ ـ اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان ـ مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى.

٢٦ ـ **سُنن النَّسائيِّ**: أحمد بن شُعيب النَّسائيُّ ـ حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ ـ اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان ـ مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى.

٢٧ ـ **شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب**: عبد الحيِّ بن العماد الحنبليُّ ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان).

٢٨ ـ **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل**: مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة ـ تحقيق: عُمر بن سُليمان الحفيان ـ مكتبة العُبيكان (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).

٢٩ ـ **صُبح الأعشى في كتابة الإنشا**: أحمد بن عليٍّ القلقشنديُّ ـ دار الكُتب المصريَّة (القاهرة/ جمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ (١٣٤٠هـ ـ ١٩٢٢م).

٣٠ ـ **صحيح البُخاريِّ**: مُحمَّد بن أحمد البُخاريُّ ـ تحقيق: مُحمَّد علي القُطب ـ المكتبة العصريَّة (بيروت/ لبنان) ـ (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٣١ ـ **صحيح مُسلم**: مُسلم بن الحجَّاج القُشيريُّ ـ حقَّق نُصوصه وصحَّحه ورقَّمه: مُحمَّد فُؤاد عبد الباقي ـ المكتبة الفيصليَّة (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة).

٣٢ ـ **طبقات الأولياء**: عُمر بن عليٍّ المصريُّ المعروف بابن المُلقِّن ـ تحقيق: نُور الدِّين شريبة ـ مكتبة الخانجي (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).

٣٣ ـ **طبقات الشَّافعيَّة الكُبرى**: عبد الوهاب بن عليٍّ السُّبكيُّ ـ تحقيق: محمود مُحمَّد الطَّناحي، عبد الفتَّاح مُحمَّد الحلو ـ دار إحياء الكُتب العربيَّة (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة).

٣٤ ـ **طبقات الصُّوفيَّة**: مُحمَّد بن الحُسين بن مُوسى المعروف بأبي عبد الرَّحمن السُّلميِّ ـ تحقيق: نُور الدِّين شريبة ـ مكتبة الخانجي (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

٣٥ ـ **العُقود الدُّرِّيَّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة**: مُحمَّد بن أحمد بن عبد الهادي الدِّمشقيُّ ـ تحقيق: مُحمَّد حامد الفقي ـ مكتبة المُؤيَّد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة).

٣٦ ـ **عُلماء الحنابلة من الإمام أحمد، المُتوفَّى سنة ٢٤١هـ إلى وفيَّات عام ١٤٢٠هـ رحمهم الله تعالى**: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ دار ابن الجوزيِّ (الدَّمَّام/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٢هـ).

٣٧ ـ **العُلماء الذين تحوَّلوا من مذهبٍ إلى آخر وأسباب التَّحوُّل**: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٥هـ).

٣٨ ـ **الفُتوحات المكيَّة**: مُحمَّد بن عليٍّ المعروف بابن عربيٍّ ـ دار صادر (بيروت/ لُبنان).

٣٩ ـ **الفُروع**: مُحمَّد بن مُفلح المقدسيُّ ـ راجعه: عبد الستَّار أحمد فرَّاج ـ عالم الكُتب (بيروت/ لُبنان) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٧م).

٤٠ ـ **فُصوص الحِكَم**: مُحمَّد بن عليٍّ المعروف بابن عربيٍّ ـ تعليق: أبو العلا عفيفي ـ دار الكتاب العربيِّ (بيروت/ لُبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م).

٤١ ـ **فهرس المخطوطات العربيَّة في مكتبة تشستربيتي (دبلن/ ايرلندا)**: أعدَّه: الأُستاذ/ آرثر ج. آربري، ترجمة: الدُّكتور/ محمود شاكر سعيد، راجعه: الدُّكتور/ إحسان صدقي العمد ـ مُؤسّسة آل البيت ـ المجمع الملكيُّ لبُحُوث الحضارة الإسلاميَّة.

٤٢ ـ **فهرس مخطوطات دار الكُتب الظَّاهريَّة (قسم التَّصوُّف)**: وضعه: مُحمَّد رياض مالح ـ مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة (دمشق/ الجُمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة) ـ (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م).

٤٣ ـ **القاموس المُحيط**: مُحمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٤٤ ـ **القلائد الجوهريَّة في تاريخ الصَّالحيَّة**: مُحمَّد بن عليٍّ بن طُولون الصَّالحيُّ ـ تحقيق: مُحمَّد أحمد دهمان ـ مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة (دمشق/ الجُمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م).

٤٥ ـ **كشف الظُّنون عن أسامي الكُتب والفُنون**: مُصطفى بن عبد الله المعروف بحاجِّي خليفة ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ (بيروت/ لبنان).

٤٦ ـ **كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء**: مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة ـ تحقيق: ربيع بن أحمد خلف ـ دار الجيل (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

٤٧ ـ **اللُّباب في تهذيب الأنساب**: مُحمَّد بن مُحمَّدٍ الشَّيبانيُّ المعروف بابن الأثير الجزريِّ ـ دار صادر (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٤٨ ـ **مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين**: مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة ـ تحقيق: عبد العزيز بن ناصر الجُلَيِّل ـ دار طيبة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٣هـ).

٤٩ ـ **المدخل المُفصَّل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبلٍ وتخريجات الأصحاب**: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ دار العاصمة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

٥٠ ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزَّمان**: عبد الله بن سعد اليافعيُّ ـ دار الكتاب الإسلاميِّ (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

٥١ ـ **مُسند الإمام أحمد بن حنبل**: أحمد بن حنبل الشَّيبانيُّ ـ حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: مجموعةٌ من المُحقِّقين، بإشراف: شُعيب الأرنؤوط ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

٥٢ ـ **المُشتبه في أسماء الرِّجال وأنسابهم**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: عليُّ بن مُحمَّد البجاوي ـ الدَّار العلميَّة (دلهي/ الهند) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٩٨٧م).

٥٣ ـ **مُعجم البُلدان**: ياقوت بن عبد الله الحمويُّ ـ دار إحياء التُّراث العربي (بيروت/ لبنان) ـ (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

٥٤ ـ **مُعجم الشُّيوخ**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ مُحمَّد الحبيب الهيلة ـ مكتبة الصِّدِّيق (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٥٥ ـ **مُعجم المُؤلِّفين**: عُمر رضا كحَّالة ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

٥٦ ـ **المُعجم المُختصُّ بالمُحدِّثين**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ مُحمَّد الحبيب الهيلة ـ مكتبة الصِّدِّيق (الطَّائف/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٥٧ ـ **مُعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**: عبد الله بن عبد العزيز البكريُّ ـ تحقيق: مُصطفى السَّقَّا ـ عالم الكُتب (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

٥٨ ـ **مُعجم مُصنَّفات الحنابلة من وفيَّات ٢٤١ ـ ١٤٢٠هـ**: الأُستاذ الدُّكتور/ عبد الله بن مُحمَّد الطُّريقيُّ ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).

٥٩ ـ **المُقتفى على كتاب الرَّوضتيْن**: القاسم بن مُحمَّد البرزاليُّ ـ تحقيق: الأُستاذ الدُّكتور/ عُمر سُليمان تدمري ـ المكتبة العصريَّة (صيدا ـ بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م).

٦٠ ـ **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**: إبراهيم بن مُحمَّد بن مُفلح المقدسيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن سُليمان العُثيمين ـ مكتبة الرُّشد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م).

٦١ ـ **المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد**: عبد الرَّحمن بن مُحمَّد العُليميُّ ـ تحقيق: جماعةٌ من المُحقِّقين، بإشراف: عبد القادر الأرناؤوط ـ دار صادر (بيروت/ لبنان)، توزيع مكتبة الرُّشد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٩٩٧م).

٦٢ ـ **المنهل الصَّافي والمُستوفى بعد الوافي**: يُوسف بن تغري بردي الأتابكيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ مُحمَّد مُحمَّد أمين ـ الهيئة المصريَّة العامّة للكتاب (١٩٨٤م).

٦٣ ـ **المُوسيقى العربيَّة ـ مقاماتٌ ودراساتٌ ـ**: الأستاذ الدُّكتور صالح المهدي ـ دار الغرب الإسلاميِّ (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٩٩٣م).

٦٤ ـ **النَّصيحة في صفات الرَّبِّ جلَّ وعلا**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق: زُهير الشَّاويش ـ المكتب الإسلاميُّ (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الرَّابعة (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٦٥ ـ **هديَّة العارفين أسماء المُؤلِّفين وآثار المُصنِّفين**: إسماعيل باشا البغداديُّ ـ دار إحياء التُّراث العربي (بيروت/ لبنان).

٦٦ ـ **الوافي بالوفيَّات**: خليل بن أيبك الصَّفديُّ ـ تحقيق: س. ديدرينغ ـ دار صادر (بيروت/ لبنان).

الفهرس

الموضوع — الصفحة

الدراسة

مُقدِّمة المُحقِّق ٣
تعريفٌ بالمُؤلِّف ٦
اسمه ونسبه ٦
ولادته ونشأته ٨
مُعتقده ومسلكه ٩
مذهبه الفقهيُّ ١٢
ثناء العُلماء عليه ١٣
مُؤلَّفاتـه ١٤
نـظـمـه ٢١
وفـاتـه ٢٢
تعريفٌ بالمُؤلَّف ٢٣
رسائل المُؤلَّف ٢٣
نسبة المُؤلَّف للمُؤلِّف ٢٣
موضوع المُؤلَّف ٢٤
مصدر المُؤلّف ٢٤

الرِّسالة الأُولى:
البُلغة والإقناع في حلِّ شُبهة مسألة السَّماع

فصلٌ: في تفصيل أحواله: اعلم أنَّ السّماع الاصطلاحيَّ في غالب الأمر لا يُورِدُ على القُلوب حالاً ليس فيه ٤٤

فصلٌ: وقد يقول القائل: فهذا السَّماع قد عمله جمعٌ من الأولياء وممَّن لا يُشكُّ في عُلُوِّ منزلته عند الله ٤٧

فصلٌ: والتَّحقيق في هذا السَّماع الاصطلاحيِّ أنَّه مُركَّبٌ من شُبهةٍ وشهوةٍ ٤٨

فصلٌ: وأمَّا السَّماع المشروع الذي كان على عهد رسول الله ﷺ وعهد الخُلفاء الرَّاشدين من بعده وعهد صالحي التَّابعين بعدهم: فهُو استماع القُرآن المجيد ٤٩

فصلٌ: وحقَّق المُحقِّقون أنَّ ذوق السَّماع مباينٌ لذوق الصَّلاة ٥١

فصلٌ: فعليكُم بالسَّماع المشروع سماع الآيات تكونوا فيه مُتَّبعين لنبيِّكُم مُحمَّدٍ ﷺ مُستمعين إلى كلام ربِّكم ٥١

فصلٌ: والخُصُوص يفهمُون من القُرآن وتلوح لقُلُوبهم منه أُمورٌ عاليةٌ وأنوارٌ خارقةٌ ٥٢

فصلٌ: معاشر العُقلاء: أين من يذوق بقلبه هذه الأذواق العالية في كلام ربِّه ممَّن تطرب نفسه على أبياتٍ ٥٢

فصلٌ: ومِمَّا استقرأه العُقلاء والأولياء أنَّهم لم يجدوا صادقًا تواجد في سماع الأبيات إلَّا بَعُد قلبه عند الفراغ منه وعند مُفارقة المجلس ووَجَد قبضًا على قلبه ٥٤

فصلٌ: من وجد في سماع الأبيات ذوقًا صحيحًا إلٰهيًّا كان بمثابة من سُقِيَ عسلاً في إناءٍ قذرٍ نجسٍ تنبو عن الشُّرب في مثله النُّفُوس ٥٥

فصلٌ: لمَّا تقادم العهد بالدِّين الأوَّل الصَّحيح انحرفت الأعمال وانقلبت الأذواق فصار الغالب لا يُوجد إلَّا ذوقٌ مُنحرفٌ. . . ٥٥
فصلٌ: وممَّا يقع في السَّماع من المصائب التي تُحزن كُلَّ عاقلٍ: أنَّه رُبَّما يقع في حالة السَّماع أمردٌ جميلٌ يرقص ٥٨
فصلٌ: ومن أقسام الفسق والفُجور في السَّماع: أن يجتمع النَّاس على سماع النِّسوان ٥٩
فصلٌ: وليس البحث في هذا الكُرَّاس في مثل هذا السَّماع، فإنَّ هذا مُجْمَعٌ على تحريمه ٦٠

الرِّسالة الثَّانية:
لوامع الاسترشاد في الفرق بين التَّوحيد والاتِّحاد

الرِّسالة الثَّالثة:
كتابٌ فيه لُمعةٌ من أشعَّة النُّصُوص في هتك أستار الفُصُوص

فصلٌ: جميع ما يُبديه في مُصنَّفاته من الكلام الحقِّ النَّافع هُو ربطٌ واستجلابٌ لقُلوب الطَّلبة كما يُشير إليه في الفُتوحات والمُحكم المربوط وغيرها ٨٤
فصلٌ: نبدأ بعون الله عزَّ وجلَّ في قاعدة مذهبه قبل نقل كلامه، لتتَّضح القاعدة أوَّلًا في ذهن العاقل، ثُمَّ يتفصَّل عليها جميع ما ننقله من كلامه ٨٥
فصلٌ: قاعدة هذا الرَّجل في اعتقاده وكشفه الباطل هُو أن يجعل المعدوم شيئًا ويجعل الماهيَّات بأسرها من جميع ما عُلِم من الأكوان أشياء ثابتة في أنفسها لكن ليس لها وُجودٌ ٨٦
فصلٌ: فمن وفَّقه الله تعالى وفهم هذه القاعدة وحقَّقها في ذهنه الصَّحيح وعقله الرَّاجح ونوّر الله قلبه بنُور الإسلام؛ عرف أنَّ هذا وهمٌ فاسدٌ وخيالٌ باطلٌ في زُخرفٍ من القول وزُوره ٩٠

الرِّسالة الرَّابعة:
تلقيح الأفهام في مُجمل طبقات الإسلام

الفصل الأوَّل: جميع المُسلمين يشتركون في كلمة التَّوحيد لا إلٰه إلَّا الله مُحمّد رسول الله ١٣٩

فصلٌ: ولو فرضنا هذا المُسلم بعينه اقتبس من الكتاب والسُّنَّة أنَّ الإلٰه المعبود وهُو ذاتٌ مُنفردٌ بنفسه عن جميع مخلوقاته بائنٌ منها ومخلوقاته بائنةٌ منه ١٤٠

فصلٌ: ولو فرضنا ذلك المُسلم بعينه الذي تلفَّظ بالشَّهادتيْن اقتبس من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ معرفة فضل الصَّحابة ١٤٣

فصلٌ: ولو فرضنا هذا المُسلم الذي نطق بالشَّهادتيْن استخرج من النُّصوص الشَّرعيَّة الثَّابتة عن رسول الله ﷺ أحاديث الصِّفات ١٤٤

فصلٌ: ولو فرضنا هذا المُسلم المُقرَّ بالشَّهادتيْن عرف طريقة الرَّسول ﷺ من سيرته وسُنَّته ووصلت دعوة الرَّسول ﷺ إلى قلبه ١٤٦

فصلٌ: ولو فرضنا هذا المُسلم المُقرَّ بالشَّهادتيْن حصَّل العلم الشَّرعيَّ ثُمَّ توجَّه إلى العمل به وحَمَلَ أثقاله وأعباءه وكَلَفٍ من إيجابٍ وندبٍ وتحريمٍ وكراهيةٍ فقبضه ذلك عن كثيرٍ من الأشياء اشتغالاً بحُدود الله وأمره ومُجانبة نهيه ١٤٧

فصلٌ: ولو فرضنا هذا المُسلم المُقرَّ بالشَّهادتيْن اقتبس من الكتاب والسُّنَّة علم الخوف ومعرفة الآخرة والانتباه لإصلاح الحال مع الله عزَّ وجلَّ ليلقاه في الآخرة بوجهٍ أبيض ١٤٨

فصلٌ: ولو فرضنا هذا الشَّخص المُقرَّ بالشَّهادتيْن اقتبس من الكتاب والسُّنَّة عُبُوديَّة الله عزَّ وجلَّ وتألُّهه وإخلاص العبادة والعُبُوديَّة له ... ١٥٠

فصلٌ: ولو فرضنا هذا المُسلم المُشار إليه شارك النَّاس في الشَّهادتيْن تلبَّس بعلم الكتاب وفقه الدِّين والسُّنَّة وعامل الله عزَّ وجلَّ باتِّباع أمره واجتناب نهيه وصَدَق الله في المُعاملة ١٥١

فصلٌ: ولو فرضنا هذا المُسلم المُتلفِّظ بالشَّهادتيْن ما أخلص لله في المُعاملة وصفا قلبه من كدر النَّفس وأشرق بأنوار الذِّكر انكشف لقلبه أنوار صفةٍ من الصِّفات ١٥٣

فصلٌ: ولو فرضنا هذا المُكاشَف بالصِّفات رَاضَ نَفْسَه بين يدي خالقه بمحو التَّدبير والاختيار فَرَضِيَ بمحو التَّدبير والاختيار ورَضِيَ بمحض تدبير الله عزَّ وجلَّ واختياره ١٥٣

فصلٌ: ولو فرضنا هذا العبد البارَّ المُكاشَف بالصِّفات القائم بوظيفة العُبُوديَّة رقَّاه الله عزَّ وجلَّ إلى محبَّته الخاصَّة المُلهبة للأفئدة فعَلِقَتْ رُوحه به وجذبها إليه ١٥٤

فصلٌ: ولو فرضنا عبدًا جذبه الله عزَّ وجلَّ إليه جَذْبًا وقرَّبه وأدناه وآنسه وناجاه يُعْرِض فيُطْلَب ويجفو فيُواصَل ويجني فيُعتب ويُعذر يُراد له ما لا يُحسن أن يُريده لنفسه ويُدبَّر في معيشته وأحواله بالرّأفة والرَّحمة واللُّطف ١٥٥

فصلٌ: فانظر رحمك الله كيف فارق المُعْتَقِدُ لأحكام الإسلام الخائف من انتهاك الحُرمات التَّتار باستهانتهم بأحكام الإسلام ورُجوعهم إلى الياساق ١٥٦

* فهرس المراجع والمصادر العلميَّة ١٦١

* فهرس الموضوعات ١٧١

❑❑❑